

الدلالات الدعوية في خطب أمير المؤمنين ذي النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه

إعداد

د/ عبدالعزيز بن عبدالله بن عبدالعزيز الزاحم

أستاذ مساعد بقسم الدراسات الإسلامية كلية العلوم والدراسات الإنسانية بشقراء جامعة شقراء.

الدلالات الدعوية في خطب أمير المؤمنين ذي النورين عثمان بن عفان ﷺ

عبدالعزيز بن عبدالله بن عبدالعزيز الزاحم

قسم الدراسات الإسلامية - كلية العلوم والدراسات الإنسانية - بشقراء جامعة شقراء.

البريد الإلكتروني : aalzahem@su.edu.sa

الملخص

هذا البحث ينصب حول دراسة موضوع يُعد من الموضوعات المهمة للدعاة، حيث يتناول دراسة الدلالات الدعوية المستنبطة من خطب أمير المؤمنين ذي النورين سيدنا عثمان بن عفان –رضي الله عنه–، فقد شغلت الدلالات الدعوية في خطبه قدرًا كبيرًا، وينبغي للدعاة إلى الله –تعالى– أن يوظفوها في خدمة الدعوة الإسلامية، لما لها من أثر بالغ في الدعوة إلى الله ﷻ، وفي التأثير على المدعوين، وقد تمَّ فيه عرض بعض الدلالات الدعوية المتعلقة بالداعية، ليحققوا الفائدة المرجوة من دعوته، ثم حاولت تسليط الأضواء قدر الاستطاعة على بعض الدلالات الدعوية المتعلقة بالمدعو، لنقله من السيء إلى الحسن، ومن الحسن إلى الأحسن ثم ذكرت بعض الدلالات المتعلقة بموضوع الدعوة والوسائل والأساليب الدعوية، ثم ذكرت بعض النتائج المتعلقة بالدراسة، وبعض التوصيات.

الكلمات المفتاحية: الدلالات- الدعوية- خطب- ذي النورين- عثمان بن عفان

Da’wah connotations in the speeches of Emir of the believers, Dhi An-Nourayn Othman Ibn Affan

Abdelaziz Ibn Abdullah Ibn Abdelaziz Az-Zahim
department of Islamic Studies - Faculty of Humanities In Shaqra, Shaqra University
Email : aalzahem@su.edu.sa

Abstract:
This research focuses the study of an important topic for the preachers. It tackles the Da’wa connotations derived from the speeches of Emir of the believers, Dhi An-Norayn, Othman Ibn Affan, may Allah be pleased with him. The Da’wa connotations had an important value in his speeches. Callers to Allah Almighty should employ them for the sake of Islamic Da’wa because of the important impact it had on Da’wa to Allah Almighty and the impact it had on the preached. In this research some Da’wa connotations related to the caller have been presented to achieve the desired effect of his Da’wa. Then it shed light, as possible, on some Da’wa connotations related to the preached to change one from bad to good, and from good to the better. It also referred to some results related to Da’wa topics, Da’wa means and methods. It referred to some results of the study and some recommendations.

Keywords: Connotations – Da’wa – speeches – Dhi An-Nouryan – Othman Ibn Affan



المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد النبي الأمي الأمين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، **أما بعد،،،**

فالدعوة إلى الله –تعالى– من أفضل الطاعات وأجل القربات التي يتقرب بها المسلم إلى ربه، ولقد اتخذ الداعية الأول ﷺ لإيصال دعوته إلى أتباعه؛ وسائل متنوعة، وكان من أبرز هذه الوسائل؛ الخطابة، فهي تعتمد على التأثير والإقناع، وهي الأداة الأولى لنشر الدعوة الإسلامية، ولذلك فقد شرعها الإسلام في الجمع والأعياد.

كما تعد الخطابة وسيلة مهمة من وسائل توضيح سياسة الخلفاء الراشدين في العصور الإسلامية الأولى، فهي سجل تاريخي حافل يكشف عن أحداث الواقع المجتمعي آنذاك، حيث دخلت الخطابة في كل مناسبة اجتماعية، واستخدمت في المحافل والمجامع وفي استقبال الوفود، فكانت صدى لأحداث الحياة واتجاهاتها في عصر الخلفاء الراشدين، ومن الخطباء الأفذاذ الذين آثروا الإسلام بخطبهم؛ سيدنا عثمان بن عفان ﷺ، والذي تعتبر خطبه امتدادًا لخطب الخليفتين من قبله في أصولها ودلالاتها الدعوية، حيث تضمنت خطبه الكثير والكثير من الدلالات الدعوية، والإرشادات التربوية؛ لتكون نبراسًا يهتدي به الدعاة إلى الله في طريق دعوتهم، لما للخلفاء خاصة – والدعاة عامة– من مكانة عالية، ومنزلة رفيعة لدى المؤمنين في كل زمان ومكان، فقد شرفهم الله تعالى بصحبة النبي ﷺ وكانوا من عوامل نصرة الدعوة الإسلامية، وتبليغها.

إن خطب ذي النورين ﷺ من الخطب التي تستحق الدراسة والتأمل، بل والوقوف عندها كثيرًا وكثيرًا؛ ليعلم الدعاة أن طريق الدعوة والهداية مليء

بالعقبات والمحن التي تحتاج إلى صبر، وحلم وقوة صلة بالله تعالى، وأن الدعاة إلى الله تعالى إذا لم يعدوا للأمر عدته؛ كان ذلك خطر كبير على الدعوة الإسلامية، فعليهم أن يتزودوا بالزاد الذي يناسب مهمتهم الرفيعة، ووظيفتهم العظيمة، حتى يستطيعوا بدعوتهم أن يفتحوا قلوبًا غلفًا، وأعينًا عميًا، وأذانًا صمًا، لذا أردت أن أسلط الضوء على استخراج بعض الدلالات الدعوية فيما بين يدي من خطب ذي النورين ﷺ التي حفظتها لنا كتب السير والتاريخ بكونها خطبة، فكان بعنوان: (الدلالات الدعوية في خطب أمير المؤمنين ذي النورين عثمان بن عفان ﷺ).

مشكلة الدراسة

يمكن صياغة مشكلة الدراسة في التساؤلات التالية:

أولًا: ما الدلالات الدعوية المتعلقة بالداعية في خطب ذي النورين ﷺ؟

ثانيًا: ما الدلالات الدعوية المتعلقة بالمدعو في خطب ذي النورين ﷺ؟

ثالثًا: ما الدلالات الدعوية المتعلقة بموضوع الدعوة في خطب ذي النورين ﷺ؟

رابعًا: ما الدلالات الدعوية المتعلقة بالوسائل والأساليب الدعوية في خطب ذي النورين ﷺ؟

أهمية الموضوع

تكمن أهمية الموضوع في عدة نقاط منها:-

أولًا: شدة احتياج دعاة اليوم إلى معرفة مهارات وخبرات السابقين في الدعوة إلى الله؛ للاستفادة منها ليتحقق الانتفاع بها في إتقان العمل في وقتنا الحاضر.

ثانيًا: مكانة الخلفاء الراشدين وأهميتها لتأصيل فقه الدعوة لدى الدعاة من خلال خطب ذي النورين، فقد أمرنا النبي ﷺ باتِّبَاعِ سُنَّة الخلفاء الراشدين الْمَهْدِيِّين، فعن الْعِرْبَاض بْن سَارِيَةَ ﷺ قال: قامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً وَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَعَظْتَنَا مَوْعِظَةَ مُوَدِّعٍ فَاعْهَدْ إِلَيْنَا بِعَهْدٍ. فَقَالَ: "عَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالسَّمْعِ

وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، وَسَتَرَوْنَ مِنْ بَعْدِي اخْتِلَافًا شَدِيدًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْأُمُورَ الْمُحْدَثَاتِ، فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ"[1]، فواجب اتباع سنة الخلفاء الراشدين بعد رسول الله ﷺ، لأنهم تلقوا العلم منه مباشرة دون واسطة، فنأخذ من أقوالهم وأفعالهم، الفكر القويم لعقولنا، والنور لقلوبنا، لتكون مَعْلَماً نسير عليه في حياتنا، للوقاية من العلل على اختلاف المشارب والأهواء.

ثالثًا: تمتع عثمان بن عفان ﷺ بمزايا عديدة، جعلت منه داعية مميزًا وفق منهج علمي يجمع بين التأصيل والتطبيق، ومن هنا فإن دراسة خطبه واستخراج الدلالات الدعوية منها؛ أمر مهم للدعاة ليجمعوا بين التأصيل العلمي والمسارات التطبيقية، لضبط العمل الدعوي، وتقديمه بصورة أفضل تحقق الفائدة المرجوة منه.

أسباب اختيار الموضوع

وقد دفعني إلى اختيار هذا الموضوع عدة أسباب منها:-

أولًا: المساهمة في تذليل الصعوبات التي تعترض طريق الدعاة، وإنقاذهم منها؛ لعلي أفوز برضا الله -تعالى- عني في الدنيا والآخرة.

ثانيًا: إبراز الجوانب الدعوية في خطب ذي النورين ﷺ، وذكر إسهاماته في خدمة الدعوة.

ثالثًا: ضرورة الاستفادة من خطب الخليفة ﷺ في الدفاع عن أمته.

أهداف الدراسة.

أهداف الدراسة

أولًا: إبراز الدلالات الدعوية المتعلقة بالداعية من خلال خطب ذي النورين ﷺ.

ثانيًا: الكشف عن الدلالات الدعوية المتعلقة بالمدعو من خلال خطب

---

(1) رواه ابن ماجة في سننه، أَبْوَابُ السُّنَّةِ، بَابُ اتِّبَاعِ سُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، 1/ 28، رقم: (42)، وقال الشيخ الأرنؤوط: (حديث صحيح بطرقه وشواهده).

ذي النورين ﷺ.

ثالثًا: التعرف على الدلالات الدعوية المتعلقة بموضوعات الدعوة من خلال خطب ذي النورين ﷺ.

رابعًا: الوقوف على أهم الدلالات الدعوية المتعلقة بالوسائل والأساليب الدعوية من خلال خطب ذي النورين ﷺ.

منهج الدراسة

سأقوم –بعون الله وتوفيقه– بهذه الدراسة معتمدًا على المناهج العلمية التي تخدم البحث في كافة جوانبه، ومن هذه المناهج العلمية: المنهج الاستردادي "وهو: الذي نقوم فيه باسترداد الماضي تبعاً لما تركه من آثار أياً كان نوع هذه الآثار"[١]، وكذلك المنهج الاستنباطي، وهو: المنهج الذي "يقوم على التأمل في أمور جزئية ثابتة، لاستنساخ أحكام منها"[٢]، حيث أقوم بقراءة الخطب وفهمها، لتحديد الدلالات الدعوية المستنبطة من الأدلة واستخراجها.

الدراسات السابقة

بعد الاستقصاء لم أجد دراسة علمية مستقلة في هذا الموضوع (حسب علمي واطلاعي) بهذا العنوان.

---

(١) مناهج البحث العلمي، عبد الرحمن بدوي، صـ١٩، ط٣، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٧٧م.

(٢) البحث العلمي.. حقيقته ومصادره ومادته ومناهجه وكتاباته وطباعته ومناقشته، د/ عبد العزيز بن عبد الرحمن بن علي الربيعة، صـ ١٧٨، مكتبة العبيكان، المملكة العربية السعودية، ط٥، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م.

خطة الدراسة

وتشتمل على مقدمة، وتمهيد، وأربعة فصول وخاتمة، وهي كالتالي:-

المقدمة وتشتمل على: مشكلة الدراسة وأهميتها، وأسباب اختيارها، والهدف منها، ومنهج الدراسة، والدراسات السابقة، وخطة الدراسة.

التمهيد: ويشتمل على التعريف بمصطلحات الدراسة.

الفصل الأول: الدلالات الدعوية المتعلقة بالداعية من خلال خطب ذي النورين ﷺ ويشتمل على مطلبين.

المطلب الأول: الدلالات الدعوية المتعلقة بصفات الداعية من خلال خطب ذي النورين ﷺ.

المطلب الثاني: الدلالات الدعوية المتعلقة بإعداد الداعية من خلال خطب ذي النورين ﷺ.

الفصل الثاني: الدلالات الدعوية المتعلقة بالمدعو من خلال خطب ذي النورين ﷺ. ويشتمل على ثلاثة مطالب

المطلب الأول: الدلالات الدعوية المتعلقة بأصناف المدعوين من خلال خطب ذي النورين ﷺ.

المطلب الثاني: الدلالات الدعوية المتعلقة بحقوق المدعوين من خلال خطب ذي النورين ﷺ.

المطلب الثالث: الدلالات الدعوية المتعلقة بواجبات المدعوين من خلال خطب ذي النورين ﷺ.

الفصل الثالث: الدلالات الدعوية المتعلقة بالوسائل والأساليب الدعوية من خلال خطب ذي النورين ﷺ ويشتمل على مطلبين.

المطلب الأول: الدلالات الدعوية المتعلقة بالوسائل الدعوية من خلال خطب ذي النورين ﷺ.

المطلب الثاني: الدلالات الدعوية المتعلقة بالأساليب الدعوية من خلال خطب ذي النورين ﷺ.

الفصل الرابع: الدلالات الدعوية المتعلقة بموضوعات الدعوة من خلال خطب ذي النورين ﷺ ويشتمل على ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: الدلالات الدعوية المتعلقة بموضوع العقيدة من خلال خطب ذي النورين ﷺ.

المطلب الثاني: الدلالات الدعوية المتعلقة بموضوع الشريعة من خلال خطب ذي النورين ﷺ.

المطلب الثالث: الدلالات الدعوية المتعلقة بموضوع الأخلاق من خلال خطب ذي النورين ﷺ.

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

التمهـيــد

أولًا: التعريف بمصطلح الدلالات

الدلالات في اللغة: مأخوذة من الفعل دلَّ، يقال: "دَلَّ فُلَانٌ: إذا هَدى، ودَلَّ إذا افْتَخَرَ، والدَّلَّة: المِنّة، دَلَّ يَدِلُّ إذا هَدى، ودَلَّ يَدِلُّ إذا مَنَّ بِعَطَائِهِ، والدِّلالة: مَا جَعَلْتَهُ للدَّليل أَو الدَّلّال"(١)، و"الدّلَالَة: الْإِرْشَاد وَمَا يَقْتَضِيهِ اللَّفْظ عِنْد إِطْلَاقه"(٢)، فالدلالة في اللغة: تفيد الإرشاد والاهتداء إلى الشيء.

والدلالة في الاصطلاح: "ما يتوصّل به إلى معرفة الشيء، كدلالة الألفاظ على المعنى، ودلالة الإشارات، والرموز، والكتابة، والعقود في الحساب، وسواء كان ذلك بقصد ممن يجعله دلالة، أو لم يكن بقصد"(٣).

فالدلالة تفيد الاستدلال على شيء من شيء آخر، ويُقصد بها هنا: استنباط الدلالات الدعوية من خلال خطب ذي النورين ﷺ لتوظيفها بما يتناسب مع أركان الدعوة.

ثانيًا: التعريف بمصطلح الدعوة

الدعوة لغة: مشتقة من الفعل الثلاثي دعا، يقال: "دَعَا الرجل دَعْوًا ودعاءً: ناداه، والاسم الدَّعَوة، ودَعَوت فلانًا، أي: صحت به، واسْتَدْعَيته"(٤)، و"دعا بالشيء دَعْوًا، ودعوة: طلب احضاره، يقال: دعا بالكتاب والشيء إلى كذا: احتاج إليه"(٥)، ومنه "دَعَوت الله أَدْعوه دعاءً: ابتهلت إليه بالسؤال، ورغبت فيما عنده من الخير، ودَعَوت زيدًا: نَادَيته، وطلبت اقباله، ودعا

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، فصل الدال المهملة، (دلَّ)، ج١١، صـ ٢٤٨، وما بعدها، دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ.

(٢) المعجم الوسيط، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، باب الدال (دلَّ)، ج١، صـ ٢٩٤، دار الدعوة.

(٣)المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، صـ٣١٧ وما بعدها، المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ.

(٤) لسان العرب، ابن منظور، فصل الدال المهملة، مادة: دعا، ج١٤، صـ٢٥٨، .

(٥) المعجم الوسيط، الصادر عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة، باب الدال، (دعا)، ج١، صـ٢٨٦، ..

المؤذن إلى الصلاة: فهو داعى الله"(١).

والأصل في مفهوم الدعوة: أنه يعتمد على البيان والكلام، فيقال "(دَعَو) الدال والعين والحرف المعتل أصل واحد، وهو أن تميل الشيء إليك بصوت، وكلام يكون منك"(٢).

بعد الاطلاع والنظر في هذه التعريفات يتبين: أن الدعوة لغة تطلق وتشير إلى الطلب، والنداء والاستدعاء، والدعاء، والابتهال، والأصل في كل هذه المعاني يدور حول الطلب.

والدعوة في الاصطلاح لها تعريفات كثيرة، ومن التعريفات التي توافق هذه الدراسة:-

١: "حث الناس على الخير والهدى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل"(٣).

٢: "العلم الذى به تُعرف كافة المحاولات الفنية، المتعددة الرامية إلى تبليغ الإسلام بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق"(٤).

ومن هنا فإن الدلالات الدعوية في هذا البحث تعني: الأمور الدعوية المستنبطة من خطب ذي النورين، وما تشتمل عليه من فقه دعوي يتعلق بأركان الدعوة الأربعة.

(١) المصباح المنير في غريب شرح الكبير، الفيومي، كتاب: الدال، مادة: (د ع و)، ج١، صـ١٩٤، المكتبة العلمية، بيروت، بدون: ت.

(٢) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس القزويني، كتاب: الدال، مادة: (دعو)، ج٢، صـ٢٧٩، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.

(٣) هداية المرشدين: الشيخ/ علي محفوظ، صـ ٧، طبعة المكتبة التوفيقية، بدون ت.

(٤) الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، د أحمد غلوش، صـ١٠، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط٢، ١٩٧٨م.

ثالثًا: التعريف بالخطابة

الخطبة مصدر من الفعل خطب، يقال: "خَاطَبَهُ مُخَاطَبَةً وَخِطَابًا وَهُوَ الْكَلَامُ بَيْنَ مُتَكَلِّمٍ وَسَامِعٍ، وَمِنْهُ اشْتِقَاقُ الْخُطْبَةِ"[1]، و"الخُطْبَة اسمٌ لِلْكَلَامِ، الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِهِ الخَطِيب"[2].

فالخطبة في اللغة: اسم لما يتكلم به الخطيب، كما أنها تفيد مراجعة الكلام.

والخطابة في الاصطلاح هي: "فن مخاطبة الجماهير بطريقةٍ إلقائيةٍ، تشتمل على الإقناع والاستمالة"[3].

فالخطبة تعتمد على الإثارة ومخاطبة العقول والضمائر، وتحريك الوجدان والمشاعر.

(١) المصباح المنير، الفيومي، كتاب الخاء، (خ ط ب)، ج١، صـ١٣٧.

(٢) لسان العرب، ابن منظور، فصل الخاء المعجمة، (خطب)، ج١، صـ٣٦١.

(٣) الخطابة وإعداد الخطيب، د/ عبد الجليل عبده شلبي، ج١، صـ١٥، مطابع وزارة الأوقاف بالقاهرة، ١٩٩٤م.

الفصل الأول

الدلالات الدعوية المتعلقة بالداعية من خلال خطب ذي النورين

إن الداعية هو: الصورة الحية العملية لدعوته، يراها الناس في جميع أحواله، في سكونه وحركته، وقوفه ومشيته، قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[(١)]، والداعية قد يكون خطيبًا أو كاتبًا أو محدثًا، ولا تنهض الدعوة إلا به، ولا يمكن أن ينجح في دعوته إلا إذا كان مكتسبًا لكثير من الصفات اللازمة لدعوته، والإعداد اللازم لها، فيزيد التأثير في نفوس المدعوين، وسأتناول ذلك إن شاء الله في هذا الفصل.

المطلب الأول: الدلالات الدعوية المتعلقة بصفات الداعية.

إن الداعية الذي يتصدى للدعوة، ويحمل لواءها؛ يجب أن يتحلى ببعض الصفات التي من شأنها تحقيق مقاصد الدعوة الإسلامية، لتؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، فالأخلاق الحسنة تُحدث في نفس المدعوين ما لا يُحدثه الكثير من الخطب والمواعظ، لذا وجب على الداعية؛ أن يتسم بصفات خاصة تؤهله لهذه المهمة، ويمكن إجمال أهم هذه الصفات في ضوء خطب سيدنا عثمان ﵁، لتعد زادًا لكل داعية أتى من بعده، فكانت كما يلي:-

أولًا: قوة الصلة بالله تعالى

إن طريق الدعوة ليس سهلًا ميسورًا، ولا مفروشًا بالورود والرياحين، ولكنه طريق مليء بالعقبات، ومحفوف بالمخاطر والابتلاءات، ومن هنا وجب على الدعاة أن يطلبوا العون منه سبحانه وحده، وأن يستندوا في دعوتهم إلى أعظم قوة، وهي قوة الله ﷻ، ولا يتأتى للداعية أن يطلب هذا العون، أو يستمد هذه القوة إلا إذا كان على صلة وثيقة بربه، فعبء الدعوة ثقيل، وتعجز قدرة الداعية على تحمله وحده، ما لم تكن مصحوبة بعون الله ومعيته، وفي خطب عثمان بن عفان﵁ ما يفيد ذلك، حيث قَالَ الْحَسَنُ: "خَطَبَ عُثْمَانُ، فَحَمِدَ اللَّهَ

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: (٢١).

وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ غُنْمٌ، إلى أن قال: وَاعْلَمُوا أَنَّ مَنْ كَانَ اللَّهُ مَعَهُ لَمْ يَخَفْ شَيْئًا، وَمَنْ كَانَ اللَّهُ عَلَيْهِ فَمَنْ يَرْجُو بَعْدَهُ؟"[(١)]، فصلة الداعية بربه هي الدعامة الأولى، بل سبب أصيل من أسباب نجاح الداعي في دعوته، يقول ابن تيمية -رحمه الله-: "إِنَّ الْإِنْسَانَ عَلَيْهِ أَوَّلًا أَنْ يَكُونَ أَمْرُهُ لِلَّهِ، وَقَصْدُهُ طَاعَةَ اللَّهِ فِيمَا أَمَرَهُ بِهِ، وَهُوَ يُحِبُّ صَلَاحَ الْمَأْمُورِ، أَوْ إِقَامَةَ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ، فَإِنْ فَعَلَ ذَلِكَ لِطَلَبِ الرِّيَاسَةِ لِنَفْسِهِ وَلِطَائِفَتِهِ، وَتَنْقِيصِ غَيْرِهِ؛ كَانَ ذَلِكَ حَمِيَّةً لَا يَقْبَلُهُ اللَّهُ، وَكَذَلِكَ إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ لِطَلَبِ السُّمْعَةِ وَالرِّيَاءِ كَانَ عَمَلُهُ حَابِطًا"[(٢)]، وقوة صلة الداعية بالله تأتي من خلال بعض المظاهر منها:

(١): الاستعانة بالله تعالى، وطلب العون منه وحده، مع التذلل التام، وتفويض الأمر إليه، قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[(٣)]، فالداعية لن يستطيع أن ينجز شيئًا من دعوته، إلا بعد توفيق الله له، وإعانته على فعله، "وَهَذَا يَقْتَضِي أَن العَبْد مُحْتَاج فِي كل وَقت إِلَى الِاسْتِعَانَة بِاللَّه على طَاعَته وتثبيت قلبه وَلَا حول وَلَا قُوَّة إِلَّا بِاللَّه"[(٤)]، ومن هنا فقد جعل شعيب ﷺ زاده في الدعوة إلى الله تعالى؛ التبرؤ من الحول والقوة، ثم أرجع الفضل إلى الله وحده، قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾[(٥)]، فجدير بالدعاة أن يمتثلوا منهج الأنبياء -عليهم السلام- في دعوتهم، وتتضح

---

(١)البداية والنهاية، ابن كثير، ج٧، ص٢٤١، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

(٢)منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، ابن تيمية، ج٥، ص٢٥٤، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

(٣)سورة الفاتحة، الآية: (٥).

(٤)جامع الرسائل، ابن تيمية، ج٢، ص٣٥٧، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، دار العطاء - الرياض، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

(٥)سورة الفاتحة، هود، من الآية: (٨٣).

هذه الصفة غاية الوضوح في خطب سيدنا عثمان ﷺ، حيث قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه: "إني أيها النَّاس قَدْ وليت أمركم فأستعين اللَّه، ولو كنت بمعزل عَنِ الأمر كَانَ خيرًا لي وأسلم، مضى قبلي صاحباي – رحمهما اللَّه– فهما لي سلف وقدوة فإنما أنا متبع، وأرجو القوة من القوي الْعَزِيز، فادعوا لي الله بالعون والتسديد، فدعا النَّاس لَهُ ثُمَّ بايعوه"[1]، وهذا يفيد أن الداعية قبل شروعه في دعوته؛ عليه أن يطلب العون والسداد منه –تعالى– في أداء مهمته، وهذا هو المناسب لخطبته في ذلك الوقت؛ حيث كانت بداية تسليمه مقاليد الأمور في البلاد.

(٢): حسن التوكل على الله تعالى، فالإسلام يغرس في نفوس أتباعه التوكل على الله ﷻ، وتفويض الأمر إليه في كل أمور حياتهم، ولقد ذكر الله ﷻ نبأ الرسل والأنبياء السابقين، وذكر أخلاقهم، فكان التوكل من أهم هذه الأخلاق التي اتصفوا بها، وحثوا أقوامهم عليه، قَالَ تَعَالَىَ: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١١ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾[2]، فالرسل –عليهم السلام– يؤكدون اعتمادهم الكامل على الله، وأن التوكل هذا من مقتضيات الإيمان بالله ﷻ، وهذا يبين فضل التوكل، "واعتماد الداعي في دعوته على ربه، لأن ذلك يملأ قلبه شجاعة وأملاً، واستهانة بكل ما يلاقي في سبيل الدعوة، ويمحص قلبه ويرفع منزلته، فهذا نبي الله نوح لا يبالي بتجمع قومه عليه، واستعانتهم بشركائهم، ويأمرهم بأن يجمعوا أمرهم، وينفذوا قضاءهم فيه، لأنه واثق

(١) أنساب الأشراف، البَلَاذُري،ج٥، ص٥١١، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م

(٢) سورة إبراهيم الآيات "١١ – ١٢".

بأن النصر حليفه، والعاقبة له ولأنصاره"[١]، ولأنه يعلم أن الله ﷻ وحده هو الكافي، فلا يحتاج معه إلى أحد، ولذلك افتتح سيدنا عثمان ﷺ بعض خطبه بالتوكل على الله ﷻ، فكان يقول: "الحمد لله أحمده وَأَسْتَعِينُهُ وَأُومِنُ بِهِ وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ"[٢]، لأنه يعلم أن التوكل طريق يصل به إلى المقصود.

على الداعية ألا يركن إلى الراحة والخمول، بحجة أن الله ﷻ تكفل بالأرزاق، ومقدر الأقوات، فإذا أخذ الداعية بالأسباب في التوكل على الله فلا ينبغي عليه التعلق بها، والركون إليها، والثقة فيها، بل لابد من تعلق القلب بالله والاعتماد عليه، فهو مسبب الأسباب، وهذا ما أكده عثمان بن عفان ﷺ في خطبته فعَنْ مُجَاهِدٍ؛ قَالَ: "خَطَبَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ ﷺ، فَقَالَ فِي خُطْبَتِهِ: ابْنَ آدَمَ! اعْلَمْ أَنَّ مَلَكَ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِلَ بِكَ لَمْ يَزَلْ يُخْلِفُكَ وَيَتَخَطَّى إِلَى غَيْرِكَ مُذْ أَنْتَ فِي الدُّنْيَا، وَكَأَنَّهُ قَدْ تَخَطَّى غَيْرَكَ إِلَيْكَ وَقَصَدَكَ؛ فَخُذْ حِذْرَكَ وَاسْتَعِدَّ لَهُ، وَلَا تَغْفَلْ؛ فَإِنَّهُ لَا يَغْفَلُ عَنْكَ، وَاعْلَمِ ابْنَ آدَمَ إِنْ غَفِلْتَ عَنْ نَفْسِكَ وَلَمْ تَسْتَعِدَّ لَهَا؛ لَمْ يَسْتَعِدَّ لَهَا غَيْرُكَ، وَلَا بُدَّ مِنْ لِقَاءِ اللهِ ﷻ؛ فَخُذْ لِنَفْسِكَ وَلَا تَكِلْهَا إِلَى غَيْرِكَ، وَالسَّلَامُ"[٣]، فالتوكل ليس كلمة تلوكها الألسنة، ولا يعيها القلب، أو يتحرك بها اللسان، ولا يعقلها العقل.

وعليه: فينبغي على الدعاة أن يقتدوا به في حسن التوكل على الله تعالى، ليكتب لهم الفلاح في دعوتهم كما كتبه لرسوله ﷺ، فهم في حاجة إلى التوكل أكثر من حاجة غيرهم إليه، لأنهم دعاة مصلحون فهم عرضة للأذى، وحتى لا يتسرب اليأس إلى قلوبهم.

ثانيًا: الصبر

الصبر خلق رفيع، وصفة جليلة، وسلوك الدعاة في كل زمان ومكان، وهم قدوة لغيرهم من المدعوين في ذلك، فضلًا عما يكتنفه طريق الدعوة من

---

(١) دعوة الرسل إلى الله تعالى، العدوي، صـ٤.

(٢) أنساب الأشراف، البَلَاذُري،ج٥، ص٥١١.

(٣)البداية والنهاية، ابن كثير، ج٧، ص٢٤١.

عوائق وصعوبات لا يجدي معها سلاح إلا الصبر، والإنسان في هذه الحياة الدنيا معرض للابتلاء والاختبار، وهذه سنة من السنن الإلهية في هذا الكون، وذلك ليميز الله ﷻ الخبيث من الطيب، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ ﴾(١)، وطريق الدعوة إلى الاستقامة مليء بالعوائق والعقبات، والنفس بطبيعتها تحب النفور من القيود، والاستقامة فيها قيدٌ للنفس من شهواتها وملذاتها، ولذلك فإن النفس لا تستقيم على الطاعة بيسرٍ وسهولةٍ، وخاصة في هذا الزمان الذي كثرت فيه المغريات، وانتشرت الابتلاءات والمحن، وهذا ما وضحه سيدنا عثمان ﷺ في آخر خطبة خطبها، فقال بعد الحمد والثناء: "ألا وإن الدنيا خضرة قد شهيت إلى الناس، ومال إليها كثير منهم، فلا تركنوا إلى الدنيا ولا تثقوا بها؛ فإنها ليست بثقة واعلموا أنها غير تاركة إلا من تركها"(٢)، فالنفس في أَمَسِّ الحاجة إلى ترويضها، وهذا يحتاج إلى صبر واصطبار، لأنه يحبس النفس عن فعل السوء والشر ودواعي الهوى، ويزجرها عن الوقوع في المحرمات، ولذلك فقد جعل النبي ﷺ الصبر ضياء، فعن أبي مالك الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "والصبر ضياء"(٣)، وهذا يدل على أنه "إذا استحكمت الأزمات، وتعقدت حبالها، وترادفت الضوائق وطال ليلها، فالصبر وحده هو الذي يشع للمسلم النور العاصم من التخبط، والهداية الواقية من القنوط"(٤)، وهو الذي يمده بقوة العزيمة والإرادة، فالصبر من عزائم الأمور، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾(٥)، فهو يقوى العزيمة على المثابرة، ولذلك كان من الواجب على الدعاة: أن يتمسكوا

(١) سورة محمد الآية "٣١"

(٢)تاريخ الرسل والملوك، ابن جرير الطبري، ج٤، ص٤٢٤، دار التراث، بيروت، الطبعة: الثانية:١٣٨٧هـ.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة،بَابُ فَضْلِ الْوُضُوءِ، ١/ ٢٠٣، رقم: (٢٢٣).

(٤) خلق المسلم، الغزالي، صـ١٣١

(٥) سورة لقمان الآية "١٧"

بخلق الصبر في مختلف المواقف، فرسالتهم هي الدعوة، "وحاجة الدعاة إلى الصبر ضرورة، لأنهم دائماً يجابهون أعداء الله في الأرض، وكثيراً ما يتمكن الأعداء منهم، وحينئذ يكون الصبر ملاذهم، ومأواهم، وهو الأسلوب الأمثل لإثبات قوة الحق، وإظهار صلابة الإيمان وعزته"(١)، فلابد للداعية حتى يحقق الاستقامة: أن يتحلى بالصبر.

والصبر يحتاج إليه المرء في حياته كلها، وهو من أهم أسلحة الدعاة إلى الله ﷻ، ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–: "وَمِنْ الْمُسْتَقِرِّ فِي أَذْهَانِ الْمُسْلِمِينَ: أَنَّ وَرَثَةَ الرُّسُلِ وَخُلَفَاءَ الْأَنْبِيَاءِ هُمْ الَّذِينَ قَامُوا بِالدِّينِ عِلْمًا وَعَمَلًا وَدَعْوَةً إلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ فَهَؤُلَاءِ أَتْبَاعُ الرَّسُولِ حَقًّا وَهُمْ بِمَنْزِلَةِ الطَّائِفَةِ الطَّيِّبَةِ مِنْ الْأَرْضِ الَّتِي زَكَتْ فَقَبِلَتْ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتْ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ فَزَكَتْ فِي نَفْسِهَا وزكى النَّاسُ بِهَا. وَهَؤُلَاءِ هُمْ الَّذِينَ جَمَعُوا بَيْنَ الْبَصِيرَةِ فِي الدِّينِ وَالْقُوَّةِ عَلَى الدَّعْوَةِ وَلِذَلِكَ كَانُوا وَرَثَةَ الْأَنْبِيَاءِ"(٢)، فلا يقوم بالدعوة إلى الله على الوجه الأكمل؛ مَنْ لم يتوفر فيه الصبر والثبات على ما يلقاه في سبيل ذلك من الأذى.

ثالثًا: التلميح وعدم التصريح

إن الداعية في دعوته يتعرض إلى مواقف مختلفة مع المدعوين، تحتاج إلى نوع من الفقه، وعدم الحسم والإغلاظ والتشهير بهم في بعض المواقف، فيكون التعريض هنا هو المخرج الشرعي بدلًا من المواجهة، حرصًا على هداية المدعوين، وتبليغ الخير لهم، والمتأمل في خطب ذي النورين ﷺ يجد مواقف كثيرة تعامل معها بالتصريح، وهذا من فقه الدعوة، من هذه المواقف موقفه مع من لعب النرد، فقال في خطبته: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِيَّاكُمْ وَالْمَيْسِرَ –يُرِيدُ النَّرْدَ– فَإِنَّهُ ذُكِرَ لِي أَنَّهَا فِي بُيُوتِ أُنَاسٍ مِنْكُمْ، فَمَنْ كَانَتْ فِي بَيْتِهِ فَلْيُخْرِجْهَا

(١) دعوة الرسل، غلوش، صـ٢٤٨

(٢)مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج٤، ص٩٢، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

أَوْ يَكْسِرْهَا» ، ثُمَّ قَالَ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ مَرَّةً أُخْرَى: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ كَلَّمْتُكُمْ فِي هَذِهِ النَّرْدِ فَلَمْ أَذْكُرْ أَحْرَقْتُمُوهَا، وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِحُزَمِ الْحَطَبِ ثُمَّ أُرْسِلَ إِلَى الَّذِينَ هِيَ فِي بُيُوتِهِمْ فَأُحَرِّقَهَا عَلَيْهِمْ»(١)، فلم يصرح بأسماء هؤلاء سترًا لهم، وحرصًا على هدايتهم، فالداعية البصير بأمر الدعوة يتصدى لدعوة مثل هؤلاء بالتلميح دون التصريح، لما قد يترتب عليه من ضرر قد يلحق بالمدعو والداعية نفسه.

المطلب الثاني: الدلالات الدعوية المتعلقة بإعداد الداعية.

الدعاة إلى الله ﷻ هم المبلغون عن الله -تعالى- ورسوله ﷺ أحكام الشرع، فهم الذين ينقلون تعاليم الإسلام، ويوضحونها للناس، وهم بذلك يشكلون عقولهم، وبقدر ثقافتهم تكون ثقافة الأمة، لذا كان من الضروري الاهتمام بإعدادهم، وتهيئتهم للقيام بهذا العمل، حتى يتقنوا عرض الدعوة، ويستميلوا المدعوين إليهم، وحتى لا تضيع الأمة بأسرها، "إن هؤلاء الدعاة سيكونون كتائب الحق في وسط معمعة من الباطل، وسيكونون شعاع النور الذي يرشد إلى ضوء النهار، وواجب على المسلمين جميعًا أن يقوموا بتهيئة هؤلاء الدعاة وتنشئتهم"(٢)، فهم كالأطباء الذين يعالجون الناس، ويرشدونهم إلى الوقاية من العلل والأسقام، ولا يمكن أن يكونوا كذلك إلا بعد إعدادهم، وتدريبهم تدريباً دقيقاً لهذه المهمة التي يقومون بها، وهناك بعض الدلالات الدعوية المتعلقة بإعداد الداعية من خلال خطب ذي النورين ﵁ من أهمها ما يلي:-

أولًا: مذاكرة العلم

العلم له أهمية عظمى في حياة الداعية، ولا يتصور أن ينجح داعية في دعوته؛ ما لم تكن مؤسسة على علم ودراية، فهو النور المبين لدعوته، ولا يمكن أن يترسخ الإيمان في قلوب المدعوين رسوخًا لا تزلزله الفتن ما لم يكن الداعية على علم وبصيرة مما يدعو إليه، لأن ما يقوم به من الدين منسوب

(١)السنن الكبرى للبيهقي، ١٠/ ٣٦٤، رقم: (٢٠٩٥٦).

(٢) الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، غلوش، صـ٤٣٥.

إلى رب العالمين، فيجب أن يكون الداعي إلى الله -تعالى- على علم وبصيرة بما يدعو إليه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[1]، فمن كان على بينة من الله ﷻ اتضح له الحق فأحبه والتزمه ودعا إليه، ومن كان جاهلًا بالله وبشرعه ضل وأضل، وكانت جنايته على الدين أعظم من جناية جهله، وهذا ما أكده عثمان بن عفان رضي الله عنه في خطبته الَّتِي نَزَعَ فِيهَا، وَأَعْلَمَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ التَّوْبَةَ، فَقَامَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، أَيُّهَا النَّاسُ: "فَوَاللَّهِ مَا عَابَ مَنْ عَابَ شَيْئًا أَجْهَلُهُ، وَمَا جِئْتُ شَيْئًا إلا وأنا أعرفه"[2]، فالعلم ضرورة شرعية للداعية، وسلاح يدافع به عن دين الله ﷻ، وزاده في طريق الدعوة، وأمرًا رئيسًا للتأثير في نفوس المدعوين، يقول ابن القيم عن أهمية العلم: "وَهُوَ الْحَاكِمُ الْمُفَرِّقُ بَيْنَ الشَّكِّ وَالْيَقِينِ، وَالْغَيِّ وَالرَّشَادِ، وَالْهُدَى وَالضَّلَالِ، بِهِ يُعْرَفُ اللَّهُ وَيُعْبَدُ، وَيُذْكَرُ وَيُوَحَّدُ، وَيُحْمَدُ وَيُمَجَّدُ. وَبِهِ اهْتَدَى إِلَيْهِ السَّالِكُونَ. وَمِنْ طَرِيقِهِ وَصَلَ إِلَيْهِ الْوَاصِلُونَ. وَمِنْ بَابِهِ دَخَلَ عَلَيْهِ الْقَاصِدُونَ. بِهِ تُعْرَفُ الشَّرَائِعُ وَالْأَحْكَامُ، وَيَتَمَيَّزُ الْحَلَالُ مِنَ الْحَرَامِ. وَبِهِ تُوصَلُ الْأَرْحَامُ وَبِهِ تُعْرَفُ مَرَاضِي الْحَبِيبِ، وَبِمَعْرِفَتِهَا وَمُتَابَعَتِهَا يُوصَلُ إِلَيْهِ مِنْ قَرِيبٍ"[3]، وبالعلم يهتدي الداعي إلى ما يريد ايصاله إلى المدعوين، ويحقق له السداد في القول والعمل، ولذلك فزع عثمان بن عفان حينما علم تنازع الناس في القرآن واختلافهم فيه، فخطب في الناس فقال: "أيّها النّاس، عَهْدُكُمْ بنبيّكم بضع عشرة، وأنتم تميزّون في القرآن، وتقولون قراءة أبي، وقراءة عبد الله، يَقُولُ الرجل: واللَّـهِ مَا نُقِيم قراءتك، فأعْزِمُ على كلّ رجلٍ منكم كان معه من كتاب الله شيءٌ لما جاء به.

---

(١) سورة يوسف، الآية: (١٠٨).

(٢)البداية والنهاية، ابن كثير، ج٧، ص١٩٣.

(٣)مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية، ج٢، ص٣٣٩، وما بعدها، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦م.

فكان الرجل يجيء بالورقة والأديم فيه القرآن، حتّى جمع من ذلك كثيرًا، ثُمَّ دخل عثمان ﷺ فدعاهم رجلًا رجلًا، فناشدهم: أَسَمِعْتَهُ من رَسُول اللَّه ﷺ، وهو أملاه عليك؟ فيقول: نعم، فلمّا فرغ من ذلك قَالَ: من أَكْتَبُ النّاس؟ قالوا: كَاتِبَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ زيد بن ثابت ﷺ، قَالَ: فأيّ النّاس أعْرَب؟ قالوا: سعيد بن العاص ﷺ، قَالَ عثمان ﷺ: فَلْيُمْلِ سعيدٌ ولْيَكْتُب زيد، فكتب مَصَاحِفَ ففرَّقها في النّاس"[١]، وفي هذه الخطبة جوانب مهمة للداعية منها: أهمية المذاكرة العلمية مع الغير والصبر عليها.

وغالبًا ما سيصادف الداعية من يتعرض له بسؤال، أو يريد معرفة أمرٍ ما، أو يطلب منه الفتيا في أمر شرعي، لذا يجب عليه أن يقنع السائل، ويرد جدل المعارض يريد إثارة الفتنة، مثلما فعل عثمان ﷺ وهو "يخطب الناس ذات يوم إذا برجل يقال له أعين يقاطعه ويقول له: يا نعثل[٢] إنك قد بدلت، فقال عثمان ﷺ: من هذا؟ فقالوا: أعين، قال عثمان: بل أنت أيها العبد، فوثب الناس إلى أعين، وجعل رجل من بني ليث يزعهم عنه حتى أدخله الدار"[٣]، فلولا علم الداعية في هذا الموقف؛ لوقع في حرج وشر شديدين، لعدم وجود عالم يهديه إلى سواء السبيل.

إن بعض المدعوين قد انحرفت أهواؤهم عن معاني الخير، وضلت أخلاقهم عن الفطرة السليمة التي فطر الله ﷻ الناس عليها، وَأَلِفُوا الشر حتى أصبح صفة ومعلماً من معالمهم، وذلك لإتباعهم سبل الشيطان، وهنا يأتي دور الداعية ليُقَوِّم هذا الانحراف، فيقوم بردهم إلى الحق والصواب، ولذلك فقد أقام عثمان بن عفان الحجة على زيف استدلال صعصعة ومن معه من

(١)تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الذهبي، ج٣، ص٩٧، المكتبة التوفيقية، بدون: ط، ت.

(٢)النَّعْثَلُ: الشيخُ الأَحمقُ. وَيُقَالُ: فِيهِ نَعْثَلَةٌ أَي حُمْقٌ، وَكَانَ أَعداءُ عُثْمَانَ يُسَمُّونَهُ نَعْثَلًا تَشْبِيهًا بِرَجل مِنْ أَهل مِصْر كَانَ طَوِيلَ اللِّحْية. (لسان العرب)، ابن منظور، ج١١، ص٢٧٠.

(٣) فتنة مقتل عثمان بن عفان ﷺ، محمد بن عبد الله بن عبد القادر غبان الصبحي، ج١، ص١٧١،عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٤هـ.

المحاصرين حينما أراد إثارة الفتنة، مضمناً كلامه الرد على ما عابوه به، وكشف الحقائق التي لبّسها القوم، عسى أن يفيق المغرر بهم ويعودوا إلى رشدهم، فقال صعصعة: أُخرجنا من ديارنا بغير حق إلا أن قلنا ربنا الله، فقال له عثمان ﷺ: اتلُ أي: استدل بالقرآن، فقرأ: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾[1]، فقال عثمان ﷺ: ليست لك، ولا لأصحابك، ولكنها لي ولأصحابي، وقرأ عثمان الآية التي استدل بها صعصعة وما بعدها مما يفسرها ويبين زيف استدلاله بها، وبذلك أفهم عثمان ﷺ الناس الآيات فهماً صحيحاً كما نزلت مبيناً سبب نزولها، وفيمن نزلت، وعلى ما تدل، لئلا يلبّس عليهم من قرأ القرآن وهو لا يعرف معناه، ويستدل به على ما يضاد مراده"[2]، وبذلك يحرك الداعية مشاعر المعادين، ويستميل قلوبهم لدعوته فيستجيبوا له، أو يخفف من شدتهم وبطشهم.

ثانيًا: الاتباع وعدم الابتداع

إن الاعتصام بالكتاب والسنة أساس متين لاستقامة النفوس وصلاحها، وهما حصن حصين ونجاة لمن تمسك بهما –من الدعاة خاصة والناس عامة– من إتباع الهوى، وهما الميزان العادل الذي توزن به أقوال العباد وأفعالهم، ولذلك فقد أمر الإسلام باتباع الوحي، ونهى عن اتباع الهوى، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَـٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ﴾[3]، فالمعيار في الحلال والحرام هو الوحي، وفي التمسك به الهدى والنور، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ: "إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا على

(١) سورة الحج، الآية: (٣٩).
(٢) فتنة مقتل عثمان بن عفان ﷺ، ج١، ص٨١.
(٣) سورة الجاثية، الآيات "١٨ – ١٩".

الحوض"[١]، فهذا بيانٌ واضحٌ لكل من أراد النجاح في دعوته، فعليه الاعتصام بالكتاب والسنة، فنجاح الداعية مرهون بالامتثال بكتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ بعيداً عن الأهواء والنزعات، "فإن إتباع الهوى يطمس نور العقل، ويعمي بصيرة القلب، ويصد عن إتباع الحق، ويضل عن الطريق المستقيم، فلا تحصل معه بصيرة العبرة البتة، والعبد إذا اتبع هواه فسد رأيه ونظره، فَأَرَتْه نفسه الحسن في صورة القبيح، والقبيح في صورة الحسن، فالتبس عليه الحق بالباطل، فأن له الانتفاع بالتذكر، أو بالتفكر، أو بالعظة"[٢]، وتتجلى لنا هذه الحقيقة في خطبة عثمان بن عفان ﷺ حينما أعلن أن مرجعيته كتاب الله، وسنة رسوله، والاقتداء بالشيخين أبي بكر وعمر بعدما بويع بالخلافة، فعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ ﷺ، قَالَ: خَطَبَ عُثْمَانُ ﷺ النَّاسَ بَعْدَ مَا بُويِعَ، فَقَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي قَدْ حُمِّلْتُ وَقَدْ قَبِلْتُ، أَلا وَإِنِّي مُتَّبِعٌ وَلَسْتُ بِمُبْتَدِعٍ، أَلا وَإِنَّ لَكُمْ عَلَيَّ بَعْدَ كِتَابِ اللَّهِ ﷻ وسنه نبيه ﷺ ثَلاثًا: اتِّبَاعُ مَنْ كَانَ قَبْلِي فِيمَا اجْتَمَعْتُمْ عَلَيْهِ وَسَنَنْتُمْ، وَسَنُّ سُنَّةَ أَهْلِ الْخَيْرِ فِيمَا لَمْ تَسِنُّوا عَنْ مَلإٍ[٣]، هذه هي الخطبة الأولى بعد المبايعة، وقد بيَّن فيها الأسس والمبادئ التي أرادها ليدعو ويحكم بمقتضاها، وعلى الرغم من قصر هذه الخطبة إلا أنها أشارت إلى دلالات دعوية كثيرة منها أن "عثمان ﷺ متبع وليس بمبتدع، ولكن الاتباع هنا ليس معناه الجمود؛ لأن الدولة قد اتسعت رقعتها، والدين أعز الله كلمته، والناس دخلوا فيه أفواجًا، وعلى الخليفة أن يجتهد وأن يبتكر، ولكن اجتهاده أو ابتكاره لا يخرج عن سنة أهل الخير، وهذا ما بينه عثمان -أيضا- في خطبته الموجزة التي تدل على المعني خير ما تكون الدلالة"[٤]، فكل حكم لا بد أن يقوم عليهما، وبهما تتجلى الهداية، وتستقيم الحياة، وأحكام الشرع فوق الجميع

---

(١) رواه الترمذي في سننه، أبواب المناقب، باب مناقب أهل بيت النبي ﷺ، ٦٦٣/٥، رقم ٣٧٨٨، وقال: "حديث حسن غريب"، ورواه الحاكم في المستدرك، كتاب العلم، ١٧٢/١، رقم ٣١٩، "واللفظ له".

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية، ج١، صـ٤٤٨.

(٣)تاريخ الرسل والملوك، الطبري، ج٤، ص٤٢٢.

(٤) الخطابة الإسلامية، عبد العاطي محمد شلبي، ص٦٨، المكتب الجامعي الحديث، ٢٠٠٦.

يخضع لها الحاكم والمحكوم على حد سواء، ولذلك قال عُثْمَانُ ﷺ: «إِنْ وَجَدْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﷻ أَنْ تَضَعُوا رِجْلِي فِي الْقَيْدِ فَضَعُوهَا»[1]، فعلى كل داعية اتباع ما جاء في الشرع وعدم الابتداع.

٣: إعداد موضوع الدعوة وتحضيره

إن أي أمر عظيم –يريد صاحبه له النجاح– لا بد من تحضيره والإعداد له، والتخطيط حتى يكون على قدر المقام الذي وضع له، وما من شيء في هذه الحياة إلا ويحتاج إلى إعداد جيد، وتنظيم، والدعوة إلى الله –تعالى– ليست بالأمر الهين، ولكنها مركب صعب لا يتحمله إلا من كان عنده استعداد وموهبة، فالدعوة قبل أن تكون علمًا فهي فن يحتاج إلى استعداد وموهبة، وإعداد جيد لموضوع الدعوة، يقول عمر بن الخطاب ﷺ أثناء اختيار الخليفة في دار السقيفة: "وَقَدْ كُنْتُ زَوِرْتُ فِي نَفْسِي مَقَالَةً أُقَدِّمُهَا بَيْنَ يَدَيْ أَبِي بَكْرٍ، وَقَدْ كُنْتُ أُدَارِي مِنْهُ بعض الحد"[2]، وليس عيبًا التلعثم في الكلام خصوصًا في بداية العهد بالدعوة، فهناك كثير من العلماء من عنده باع في كل فن وعلم، إلا أنه لم يكن عنده استعداد لمزاولة الخطابة والدعوة، وهناك رواية إن صحت عن سيدنا عثمان ﷺ فإنها تدل على مدى أهمية الإعداد الجيد والمسبق لموضوع الدعوة، فقد روي "أَن عُثْمَان خطب فَقَالَ: إن أبا بَكْر وعمر كانا يعدان لِهَذَا المقام مقالا وسيأتي اللَّه بِهِ"[3].

من هنا تظهر أهمية تحضير الخطبة وإعدادها، فتلك ركيزة أساسية في نجاح الدعوة، ولا ينقص ذلك شيئًا من شأن الداعية.

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده، ١/ ٥٤٤، رقم: (٥٢٤).
(٢) تاريخ الطبري، ج٣، ص٢٠٥.
(٣) أنساب الأشراف، البلاذري، ، ج٥، ص٥١١.

الفصل الثاني

الدلالات الدعوية المتعلقة بالمدعو من خلال خطب ذي النورين

المدعوون هم العنصر الأساس من عناصر الدعوة إلى الله تعالى، إذ ما شُرعت الدعوة إلا لأجلهم، وما أُرسلت الرسل إلا لدعوتهم، لذا يجب الاهتمام بهم ودراسة أحوالهم، والتصرف تجاهها بما يناسبها، بما يقرره الشرع الحنيف، وطرق الدعوة تتفاوت بتفاوت أحوالهم، وفي خطب ذي النورين دلالات دعوية تتعلق بهم، وأهمها ما يلي:-

المطلب الأول: الدلالات الدعوية المتعلقة بأصناف المدعوين.

إن المتأمل في خطب ذي النورين يجدها قد اشتملت على أصناف شتى من المدعوين على النحو التالي:-

١: من عنده نقص في الإيمان وجهل بالأحكام

شملت خطب عثمان بن عفان ﷺ دعوة من عندهم نقص في الإيمان ولكنهم جهلوا أحكامه، فكانوا من أصناف المدعوين، وهؤلاء نصبر على جهلهم، وندعوهم ونعلمهم بالرفق، ونرشدهم إلى الأحسن برفق كما فعل عثمان بن عفان ﷺ فقال في خطبته: "يا أيها النَّاسُ، اجْلِسُوا، فَجَلَسُوا جَمِيعًا، الْمُحَارِبُ الطَّارِئُ، وَالْمُسَالِمُ الْمُقِيمُ، فَقَالَ: يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ، إِنِّي أَسْتَوْدِعُكُمُ اللَّهَ، وَأَسْأَلُهُ أَنْ يُحْسِنَ عَلَيْكُمُ الْخِلافَةَ مِنْ بعدي، وانى وَاللَّهِ لا أَدْخُلُ عَلَى أَحَدٍ بَعْدَ يَوْمِي هَذَا حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيَّ قَضَاءَهُ"(١)، فدعا المحارب الطارئ والمسالم المقيم بالموعظة الحسنة والقول اللين، الذي "يتضمن الإقناع الهادي بالحديث الخاص، والإقناع بالخطابة العامة، غير الموجهة لشخص بعينه، وباستمالة القلوب بكل قول لين كريم، وأدبي رفيع، وبياني مؤثر، وعرض الحقائق التي يراد الإرشاد إليها بطريقة غير مباشرة"(٢)، ليصل إلى الإقناع الفكري، أو عن

---

(١)تاريخ الرسل والملوك، الطبري، ج٤، ص٣٣٨.

(٢)الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها وصور من تطبيقات المسلمين لها ، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة، ص٣٥٧، دار القلم- دمشق، الطبعة: الأولى ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

طريق التأثير الوجداني في علاج هؤلاء الصنف من المدعوين.

١: من عنده نقص في الإيمان وعلم بالأحكام

فهذا يدعى لزيادة الإيمان، ليستقيم على الطاعة، ولا يكون ذلك إلا بالتعرف عليهم، والاتصال بهم، والعناية بذوي المكانة منهم، لأن قوة هذا الاتصال وفاعليته في الإقناع تكمن في الحق الذي يحويه المضمون الاتصالي، وظهر هذا الصنف من المدعوين في خطبة عثمان ﷺ حينما "جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَقَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ آفَّةٍ، وَلِكُلِّ أَمْرٍ عَاهَةً، وَإِنَّ آفَّةَ هَذِهِ الأُمَّةِ، وَعَاهَةَ هَذِهِ النِّعْمَةِ، عَيَّابُونَ طَعَّانُونَ، يَرُونَكُمْ مَا تُحِبُّونَ وَيُسِرُّونَ مَا تَكْرَهُونَ، يَقُولُونَ لَكُمْ وَتَقُولُونَ، أَمْثَالُ النَّعَامِ يَتْبَعُونَ أَوَّلَ نَاعِقٍ"(١).

٣: من عنده قوة في الإيمان وجهل بالأحكام

وهذا يدعى ببيان الحكم الشرعي، وإزالة ما يتعلق بداخله من حكم خاطئ، ويظهر هذا الصنف من المدعوين في خطب ذي النورين ﷺ حينما أراد هدم مسجد رسول الله ﷺ وتوسعة عندما ضاق بالمصلين، "فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إني قد أردت أن أهدم مسجد رسول الله ﷺ وأزيد فيه، وأشهَدُ لسمعت رسول الله ﷺ يقول: «من بنى لله مسجداً بنى الله له بيتاً في الجنة» وقد كان لي فيه سَلَف وإمام سبقني وتقدمني عمر بن الخطاب ﷺ، كان قد زاد فيه وبناه، وقد شاورت أهل الرأي من أصحاب رسول الله ﷺ فأجمعوا على هدمه وبنائه وتوسيعه، فحسَّن الناس يومئذٍ ذلك ودعوا له"(٢)، فبيَّن لهم حكم هدم المسجد وإعادة بنائه وتوسعته.

٤: من عنده قوة في الإيمان وعلم بالأحكام

ومثل هذا ليس له عذر، فينكر عليه بقوة، ويعامل معاملة أشد مما سبق، لئلا يكون قدوة لغيره في المعصية، ويظهر هذا الصنف من المدعوين في خطب ذي النورين عُثْمَان بْن عَفَّان ﷺ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ يَقُولُ: "يَا أَيُّهَا

---

(١)تاريخ الرسل والملوك، الطبري، ج٤، ص٣٨٥.

(٢)حياة الصحابة، الطبري، الكاندهلوي، ج٤، ص١٣٠، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

النَّاسُ، إِنِّي قَدْ كَلَّمْتُكُمْ فِي هَذَا النَّرْدِ، وَلَمْ أَرَكُمْ أَخْرَجْتُمُوهَا، وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِحِزَمِ الْحَطَبِ ثُمَّ أُرْسِلَ إِلَى بُيُوتِ الَّذِينَ هِيَ فِي بُيُوتِهِمْ فَأُحَرِّقَهَا عَلَيْهِمْ"[١]، فعلى المسلم أيا كان -خاصة الداعية- أن لا يرخى لنفسه الزمام، حتى تستمرئ المتاع وإن كان حلالًا، فلا يستطيع بعد ذلك أن يحملها على طاعة الله.

إن كل بني آدم مخاطبون بالدعوة، هذا العموم لا يستثنى منه أي إنسان، فالكل مخاطب ومكلف بالقبول والإذعان مهما كان جنسه ونوعه ولونه طالما كان بالغًا عاقلًا، وعلى الداعية الاعتناء بجميع أصناف المدعوين، فيخاطب كلًا بقدر فهمه وما يناسبه، وبحسب الضوابط الشرعية.

المطلب الثاني: الدلالات الدعوية المتعلقة بحقوق المدعوين.

المدعو له حقوق، وعليه واجبات، وينبغي على الدعاة إلى الله -تعالى- أن يراعوا هذه الحقوق والواجبات والتي من أهمها كما هو مستنبط من خطب ذي النورين ما يلي:-

١: مراعاة أحوال المدعوين

من فقه الدعوة إلى الله -تعالى- أن يراعي الداعية أحوال المدعوين، فالمدعوون اليوم جماعات شتى، وأمم مختلفة، كل جماعة منهم لها توجهاتها الفكرية، ومشاربها الخاصة بها، وهذا يتطلب التنوع في أسلوب الدعوة، لأن المدعوين منهم من يتأثر بالعاطفة، ومنهم من يتأثر بالعقل، ومنهم من يحتاج إلى ترغيب، وآخر إلى ترهيب، ومن الحكمة أن تراعي طبائع الناس، فيخاطب كل صنف بما يناسبه، والشريعة الإسلامية بتعاليمها وأحكامها راعت واقع البشر، وأخذت بعين الاعتبار تباين قدراتهم، فحرص الإسلام على تقديم ما يناسب المدعوين "ويراعي الفروق الفردية بينهم، حتى لا يرهق المتعلم بأشياء يصعب عليه فهمها وأداؤها، لأنها فوق إدراكه، ولا تتفق مع استعداده"[٢]، بل

---

(١) رواه البيهقي في السنن الكبرى، ١٠/ ٣٦٤، رقم: (٢٠٩٥٦).

(٢) التربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعلمها، عاطف السيد، صـ٣٩.

لابد وأن تكون مناسبة لإدراكه وفهمه.

وهكذا كان عثمان ﷺ في خطابه مع المدعوين يراعي أحوالهم، وتعامل مع طبائعهم وأحوالهم، ومن ذلك مراعاته الأَمة والطفل الصغير، فقال وَهُوَ يَخْطُبُ: "لَا تُكَلِّفُوا الْأَمَةَ غَيْرَ ذَاتِ الصَّنْعَةِ الْكَسْبَ، فَإِنَّكُمْ مَتَى مَا كَلَّفْتُمُوهَا الْكَسْبَ كَسَبَتْ بِفَرْجِهَا، وَلَا تُكَلِّفُوا الصَّغِيرَ فَإِنَّهُ إِنْ لَمْ يَجِدْ سَرَقَ، وَعِفُّوا إِذَا أَعَفَّكُمُ اللهُ، وَعَلَيْكُمْ مِنَ الْمَطَاعِمِ مَا طَابَ مِنْهَا"(١)، ومن ذلك مراعاته الفروق الاجتماعية بين المدعوين، فخاطب كلًا حسب ما يقتضيه حاله وطبيعته، فقال: "فَإِذَا نَزَلْت فَلْيَأْتِنِي أَشْرَافُكُمْ فليرونى رأيهم"(٢)، فراعى في خطبته الفروق الاجتماعية والعلمية وغيرها، وحتى لا يقع الناس في فتنة، فقد كتم حديثًا سمعه من رسول الله ﷺ خوفًا عليهم من التفرق عنه وقتها، فلما زال سبب هذا الكتمان بلغه لهم، فعَنْ أَبِي صَالِحٍ مَوْلَى عُثْمَانَ ﷺ، قَالَ: سَمِعْتُ عُثْمَانَ ﷺ يَقُولُ عَلَى الْمِنْبَرِ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي كَتَمْتُكُمْ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، كَرَاهِيَةَ تَفَرُّقِكُمْ عَنِّي، ثُمَّ بَدَا لِي أَنْ أُحَدِّثَكُمُوهُ لِيَخْتَارَ امْرُؤٌ لِنَفْسِهِ مَا بَدَا لَهُ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: "رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ يَوْمٍ فِيمَا سِوَاهُ مِنَ الْمَنَازِلِ"(٣).

فعلى الدعاة إلى الله أن يراعوا أحوال المدعوين، فيخاطبوهم بالأسلوب الحسن المناسب، فيضعوا كل أسلوب في محله، والحكيم هو من يحسن الاختيار، ويضع كل شيء في محله وإلا باءت دعوته بالإخفاق.

٢: الحرص على هداية المدعوين وإنقاذهم

إن هدف الدعوة إلى الله تعالى هداية المدعوين، وعلى الداعية أن يلتمس كل الطرق المناسبة لتحقيق ذلك، والنبي ﷺ كان حريصًا على هداية قومه، وبذل معهم كل ما في وسعه، وكان يحزن على عدم استجابتهم لدعوته،

---

(١)شعب الإيمان، للبيهقي، ١١/ ٨٩، رقم: (٨٢٢٨).

(٢)تاريخ الطبري، للبيهقي، ج٤، ص٣٦١.

(٣) رواه البيهقي في السنن الكبرى، ، ٩/ ٦٦، رقم: (١٧٨٨).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾[١]، ولقد كانت المحافظة على الصلاة آخر وصية أوصى بها النبي ﷺ وهو يجود بنفسه الشريفة فعن أنس بن مالك ﷺ قال: كانت عامة وصية رسول الله ﷺ حين حضرته الوفاة، وهو يغرغر بنفسه: "الصلاة، وما ملكت أيمانكم"[٢]، فهذه الوصية أوصى بها الرسول ﷺ وهو في اللحظات الأخيرة من حياته، والتي تعد من أصعب الحالات العصبية التي يمر بها كل إنسان، ويكون فيها مشغولاً بنفسه، وما سيكون له من الحساب والجزاء على ما فعل في الدنيا، ولكن لشدة حرص النبي ﷺ على هداية أمته، كل ذلك دفع النبي ﷺ أن يودع أمته بأعظم وصية وأبلغها، بأن يلتزموا الصلاة أبداً، مدة حياتهم، ويظهر هذا الحرص في خطب ذي النورين ﷺ في قوله: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي سَمِعْتُ حَدِيثًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ أُحَدِّثَكُمْ بِهِ إِلَّا الضِّنُّ (البخل بالشيء النفيس) بِكَمْ وَبِصَحَابَتِكُمْ، فَلْيَخْتَرْ مُخْتَارٌ لِنَفْسِهِ أَوْ لِيَدَعْ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ رَابَطَ لَيْلَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، كَانَتْ كَأَلْفِ لَيْلَةٍ صِيَامِهَا وَقِيَامِهَا»[٣]، أي لأجل حرصه عليهم وعلى مصاحبتهم ودوامهم معه، لم يحدثهم بحديث رسول الله ﷺ وقتها، ويظهر هذا الحرص أيضًا في قوله: «إِذَا قَامَ الْإِمَامُ يَخْطُبُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَاسْتَمِعُوا وَأَنْصِتُوا. فَإِنَّ لِلْمُنْصِتِ، الَّذِي لَا يَسْمَعُ، مِنَ الْحَظِّ، مِثْلَ مَا لِلْمُنْصِتِ السَّامِعِ. فَإِذَا قَامَتِ الصَّلَاةُ فَاعْدِلُوا الصُّفُوفَ، وَحَاذُوا بِالْمَنَاكِبِ، فَإِنَّ اعْتِدَالَ الصُّفُوفِ مِنْ تَمَامِ الصَّلَاةِ». ثُمَّ لَا يُكَبِّرُ، حَتَّى يَأْتِيَهُ رِجَالٌ قَدْ وَكَّلَهُمْ بِتَسْوِيَةِ الصُّفُوفِ، فَيُخْبِرُونَهُ أَنْ قَدِ اسْتَوَتْ، فَيُكَبِّرُ"[٤]، فقام بالنصح والتنبيه على المدعوين.

---

(١) سورة الشعراء، الآية: (٣).

(٢) رواه ابن ماجه في سننه، كتاب الوصايا، باب هل أوصى رسول الله ﷺ ؟، ٧/٤، رقم ٢٦٩٧، واللفظ له، ورواه الحاكم في المستدرك، كتاب المغازي والسرايا، ٥٩/٣، رقم ٤٣٨٨، وقال: "قد اتفقا على إخراج هذا الحديث".

(٣) رواه ابن ماجه في سننه، كتاب الجهاد، بَابُ فَضْلِ الرِّبَاطِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ٧/٤، رقم ٢٦٩٧، واللفظ له، ورواه الحاكم في المستدرك، كتاب المغازي والسرايا، ٩٢٤/٢، رقم ٢٧٦٦.

(٤) رواه الإمام مالك في المسند، كتاب الجهاد، بَابُ فَضْلِ الرِّبَاطِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ١٠٤/١، رقم ٨.

المطلب الثالث: الدلالات الدعوية المتعلقة بواجبات المدعوين.

١-ضرورة الاستجابة لدعوة الداعين إلى الله

لقد أمر الله ﷻ المؤمنين في قرآنه بالاستجابة له ﷻ ولرسوله ﷺ إذا دعاهم لما يحييهم، والإذعان للبلاغ المبين وكلمة الحق، والاستجابة تكون بفعل الأوامر التي أمروا بها، واجتناب النواهي التي نهوا عنها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾[١]، فواجب على المدعو العاقل المدرك لعواقب الأمور، أن يستجيب لداعي الله، ولا يعرض عن الحق والخير، ولا يستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير، لأنه يدرك أن هذا الداعي لا يريد منه شيئاً خاصاً، بل يريد إنقاذه من النار، وغضب الجبار، وتظهر هذه الاستجابة في خطب عثمان حينما "أَمَرَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ بِالرُّجُوعِ وَأَقْسَمَ عَلَيْهِمْ، فَرَجَعُوا إلا الْحَسَنَ وَمُحَمَّدًا وَابْنَ الزُّبَيْرِ وَأَشْبَاهًا لَهُمْ"[٢]، وتظهر أيضًا حينما أجمع الناس على هدم المسجد وتوسعته بعدما بين لهم عثمان ﷺ شرعية هذا الأمر واستدل على ما قاله.

٢-الثبات على الطاعة

إن الثبات على الطاعة أمر عظيم، لاسيما مع فساد الزمان، وكثرة الفتن والمغريات، وبالنظر إلى الواقع الذي تعيشه الأمة الإسلامية، وما تواجهه من المغريات، وسائر أنواع الشهوات، فهي في أمس الحاجة إلى الثبات على الطاعة، والعض عليها بالنواجذ، والصحابة الكرام قد لاقوا ما لاقوا، ولكنهم ثبتوا على الطاعة والإيمان، فلم يخضع النبي ﷺ ولا الصحابة الكرام لوسائل الترهيب التي مارسها أعداء الدعوة، كما أنهم لم يخضعوا لوسائل الترغيب مما عرضته عليهم قريش من المال والجاه وغير ذلك، فالثبات على الدين من أهم الأمور في حياة المسلمين، ولذلك فقد رغب الإسلام المدعوين بالثبات على الطاعة حتى الممات، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾[٣]، فالمداومة

---

(١) سورة الأنفال، الآية "٢٤".

(٢) تاريخ الطبري، ج٤، ص٣٨٥.

(٣) سورة الحجر، الآية "٩٩".

على الحق مطلب أساسي لكل مسلم صادق أراد سلوك الصراط المستقيم، فلا ينقطع عنه إلا بنهاية الأجل، ولذلك فقد خطب عثمان بن عفان ﷺ في الناس قائلًا: "ابْنَ آدَمَ! اعْلَمْ أَنَّ مَلَكَ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِلَ بِكَ لَمْ يَزَلْ يُخْلِفُكَ وَيَتَخَطَّى إِلَى غَيْرِكَ مُذْ أَنْتَ فِي الدُّنْيَا، وَكَأَنَّهُ قَدْ تَخَطَّى غَيْرَكَ إِلَيْكَ وَقَصَدَكَ؛ فَخُذْ حِذْرَكَ وَاسْتَعِدَّ لَهُ، وَلَا تَغْفَلْ؛ فَإِنَّهُ لَا يَغْفَلُ عَنْكَ، وَاعْلَمِ ابْنَ آدَمَ إِنْ غَفَلْتَ عَنْ نَفْسِكَ وَلَمْ تَسْتَعِدَّ لَهَا ؛ لَمْ يَسْتَعِدَّ لَهَا غَيْرُكَ، وَلَا بُدَّ مِنْ لِقَاءِ اللهِ ﷻ؛ فَخُذْ لِنَفْسِكَ وَلَا تَكِلْهَا إِلَى غَيْرِكَ، وَالسَّلَامُ"[1]، لأن ظاهرة الفتور والانقطاع عن العبادة بعد الاستمرار، يقع فيه بعض الناس في أغلب الأحيان، ولاسيما بعد مواسم الخير والطاعة، فإذا جاء موسم الطاعة، فإنهم يقدمون على العمل والخير، فإذا انقضى هذا الموسم، فسرعان ما يعودون إلى ما كانوا عليه من قبل، فلم يغير هذا الموسم فيهم شيئاً.

إن الثبات ليس بالأمر الهين على الإنسان، وليس باستطاعة جميع الناس الالتزام به، فالإنسان قد يصل إلى القمة، وهذا فتح من الله ﷻ ولكن الاحتفاظ بالقمة، والثبات على ذلك الخير أمر صعب، ولذلك فقد جاء التوجيه النبوي، داعياً المسلم إلى الثبات والاستمرارية قدر المستطاع، فعن ثوبان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "استقيموا ولن تحصوا، واعلموا أن خير أعمالكم: الصلاة، ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن"[2]، ولما كان الأمر كذلك، كان لزاماً على المسلم أن يتضرع إلى الله ﷻ ويسأله الثبات، وعدم الزيغ، ويظهر ذلك جليًا عندما خطب عُثْمَان ﷺ النَّاس فَقَالَ بعد أن حمد الله وأثنى عليه: "إني أيها النَّاس قَدْ وليت أمركم فأستعين اللَّه، ولو كنت بمعزل عَنِ الأمر كَانَ خيرًا لي وأسلم، مضى قبلي صاحباي رحمها اللَّه فهما لي سلف وقدوة فإنما أنا متبع، وأرجو القوة من القوي الْعَزِيز، فادعوا لي الله بالعون والتسديد، فدعا

(١)المجالسة وجواهر العلم، أحمد بن مروان الدينوري، ج٢، ص٧٣، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، جمعية التربية الإسلامية (البحرين – أم الحصم) ، دار ابن حزم (بيروت – لبنان)، ١٤١٩هـ.

(٢) رواه أحمد في مسنده، ٣٧/ ٦٠، رقم: (٢٢٣٧٨).

النَّاس لَهُ ثُمَّ بايعوه"[١].

٣: الرجوع إلى أهل العلم للسؤال عما أشكل عليهم

من أهم واجبات المدعوين الرجوع إلى أهل العلم وسؤالهم، فالعلماء هم حملة الدين، وورثة الأنبياء، والداعية في قومه ومحيطه الدعوي، رائد فكري، ولو طلب كل شخص النصيحة فيما يحتاج معرفته، فإن الأخطاء ستقل إلى درجة متدنية، فقد دخل عُبَيْد اللَّهِ بْن عَدِيِّ بْن خِيَارٍ عَلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ﷺ وَهُوَ مَحْصُورٌ – فَقَالَ: إِنَّكَ إِمَامُ عَامَّةٍ، وَنَزَلَ بِكَ مَا نَرَى، وَيُصَلِّي لَنَا إِمَامُ فِتْنَةٍ، وَنَتَحَرَّجُ؟ فَقَالَ: «الصَّلاَةُ أَحْسَنُ مَا يَعْمَلُ النَّاسُ، فَإِذَا أَحْسَنَ النَّاسُ، فَأَحْسِنْ مَعَهُمْ، وَإِذَا أَسَاءُوا فَاجْتَنِبْ إِسَاءَتَهُمْ»[٢]، هذا السؤال يدل على أن "الحريص على الخير والعلم يبلغ بحرصه إلى أن يسأل عن غامض المسائل، ودقيق المعاني، لأن المسائل الظاهرة إلى الناس كافة يستوى الناس في السؤال عنها، لاعتراضها في أفكارهم، وما غمض من المسائل، ولطف من المعاني، لا يسئل عنها إلا راسخ بَحَّاث، يبعَثُه على ذلك الحرص، فيكون ذلك سببًا إلى إثارة فائدة يكون له أجرها، وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة"[٣]، وقد تمر على المدعوين بعض الآيات والأحاديث التي لا يفهمونها، فيجب الرجوع إلى الدعاة لفهم معناها حتى لا تختلط عليهم الأمور، كما فعل عثمان مع صعصعة حينما استدل بالآيات استدلالًا خاطئًا، ووضعها في غير مواضعها، فبين له زيف استدلاله، فالمدعو الحريص على دينه هو الذي إذا أحس بخلل في أمر ما، أو أشكل عليه أمر ما، سعى إلى أهل العلم لسؤالهم، ليجد المدعو جوابًا، أو علاجًا لما أصابه.

(١) أنساب الأشراف، البلازري، ج٥، ص٥١١، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م .

(٢)شرح صحيح البخارى لابن بطال، ج١، ص١٧٥، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كِتَابُ الأَذَانِ، بَابُ إِمَامَةِ المَفْتُونِ وَالمُبْتَدِعِ، ١٤١/١، رقم ٦٩٥.

الفصل الثالث

الدلالات الدعوية المتعلقة بالوسائل والأساليب الدعوية من خلال خطب ذي النورين

لا يمكن نقل تعاليم الإسلام، وتبليغ شرائعه إلى المدعوين إلا من خلال الوسائل والأساليب المشروعة، فلا يمكن أن تتحرك الفكرة وحدها وتبليغها للناس المراد إقناعهم، ولكن لا بد من استخدام الوسائل والأساليب، والمتأمل في خطب ذي النورين ﷺ يجدها تحظى بوفرة في استخدام هذه الوسائل والأساليب، مما يحتم على الدعاة عدم التقصير في استخدامها لنشر دعوتهم، فكان من أهم هذه الوسائل والأساليب في خطب سيدنا عثمان ما يلي:-

المطلب الأول: الدلالات الدعوية المتعلقة بالوسائل الدعوية.

استخدم سيدنا عثمان بن عفان الوسائل الدعوية المناسبة لزمانه ومكانه وللمدعوين، فلم يقصر في استخدامها، ولم يتكلف في صنعها، مما كان له الأثر الكبير في نجاح دعوته، ونجاح الدعوة مرتبط بالسير خلف سلفنا الصالح، ومعرفة الوسائل التي استخدموها، وتطويرها حسب الزمان والمكان، فهي النبراس الذي يضيء الطريق لمن أراد النجاح في دعوته، ويكون داعية إلى الله على بصيرة، "والواقع أن ضعف الإدراك لقواعد الوسائل وأحكامها لدى بعض القائمين على أمر الدعوة الإسلامية –أفرادًا ومؤسسات– أدى إلى خلل كبير، وخلَّف آثارًا سيئة في حياة الأمة، فالمتأمل في أوضاع الأمة يحس بالخلل، ويدرك الاضطراب الواقع في فهم الوسائل، ومنهج التعامل معها، وذلك في مجالات متعددة"[١]، ومن أهم هذه الوسائل التي استخدمها ذو النورين ما يلي:-

١: القدوة

إن القدوة وسيلة دعوية مهمة قديمة قدم الزمان، تمتد جذورها مع جذور الإنسان نفسه، فبها تعلم ابن آدم ﷺ عندما أرسل الله –ﷻ– له غراباً يعلمه

---

(١) أصول الدعوة ومناهجها دراسة تأصيلية تحليلية، د/ رمضان مطاريد وآخرون، ص٢٠٢، ٢٠١٩م.

كيف يوارى سوأة أخيه بعد ما قتله، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾[1]، فأول قدوة جُسدَت للإنسان، كانت في الغراب الذى بعثه الله ﷻ في الأرض، يبحث فيها ليواري أخاه في التراب، فيراه أخوه فيقتدى به ويفعل مثله، فالقدوة وسيلة دعوية عملية، وواقع ملموس، يدعو الناس إلى العمل قبل القول، وقد استخدمها سيدنا عثمان حينما أراد هدم المسجد وتوسعة، وأعلن اقتداءه بعمر بن الخطاب ﷺ في ذلك، ثم أعلن استخدامه لهذه الوسيلة فقال في خطبته: "مضى صاحباي وهما لي سلف وقدوة، وإنّما أنا متّبع"[2]، فقد لزم ما كان عليه الشَّيخان أبو بكر وعمر -رضي الله عنهما-، لأن الناس في كل زمان ومكان في أمس الحاجة إلى الاقتداء بنماذج حية تضئ لهم الطريق، وترشدهم إلى ما فيه صلاح أمرهم في الدين والدنيا، فمهما كان الأفراد صالحين فهم في حاجة ملحة إلى الاقتداء، وخاصة إذا بعد الناس عن القيم الإسلامية، وأحكام الإسلام، ولذلك فقد "خَرَجَ عُثْمَانُ فخَطَبَ الْخُطْبَةَ الَّتِي نَزَعَ فِيهَا وَأَعْطَى النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ التَّوْبَةَ وَقَالَ: أَنَا أَوَّلُ مَنِ اتَّعَظَ، أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِمَّا فَعَلْتُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، فَمِثْلِي نَزَعَ وَتَابَ، فَإِذَا نَزَلْتُ فَلْيَأْتِنِي أَشْرَافُكُمْ فَلْيَرَوْا فِيَّ رَأْيَهُمْ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ رَدَّنِي الْحَقُّ عَبْدًا لَأَسْتَنَّنَّ بِسُنَّةِ الْعَبْدِ وَلَأَذِلَّنَّ ذُلَّ الْعَبْدِ، وَمَا عَنِ اللَّهِ مَذْهَبٌ إِلَّا إِلَيْهِ، فَوَاللَّهِ لَأُعْطِيَنَّكُمُ الرِّضَا وَلَأُنَحِّيَنَّ مَرْوَانَ وَذَوِيهِ، وَلَا أَحْتَجِبُ عَنْكُمْ! فَرَقَّ النَّاسُ وَبَكَوْا حَتَّى أَخْضَلُوا لِحَاهُمْ وَبَكَى هُوَ أَيْضًا"[3].

إن المنهج الدعوي لا يمكن أن يتحول إلى واقع عملي في حياة البشر إلا بالقدوة، ولذلك فقد أمر الله رسوله ﷺ بالاقتداء بمن سبقه من الأنبياء والرسل -عليهم السلام- فقال بعد أن ذكر ثمانية عشر نبياً: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾[4]،"ومن هنا كانت القدوة عاملاً كبيراً في صلاح

(١) سورة المائدة الآية "٣١".

(٢) كنز الدرر وجامع الغرر؛ أبو بكر بن عبد الله بن أيبك الدواداري، ج٣، ص٢٧٢.

(٣)الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج٢، ص٥٣٣.

(٤) سورة الأنعام من الآية "٩٠".

الولد أو فساده، فإن كان المربى صادقاً أميناً كريماً عفيفاً، نشأ الولد على الصدق والأمانة والخلق والكرم والشجاعة والعفة، وإن كان المربى كاذباً خائناً منحلاً بخيلاً جباناً نذلاً، نشأ الولد على الكذب والخيانة والتحلل والجبن والبخل والنذالة"[١]، إن المجتمع اليوم في أمس الحاجة إلى القدوة الحسنة، ليهتدي بها الناس إلى الطريق المستقيم، ولتأخذ بيدهم إلى بر الأمان، بعدما هوت بهم الريح في مكان سحيق، وذلك في ظل وجود نماذج ضالة انخدع بها كثير من الناس.

٢: الأحداث

الدعوة بوسيلة الأحداث ليست وليدة اليوم، بل عرفت منذ تاريخ الإسلام، فكانت ركيزة أساسية من ركائز الدعوة، فكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية توجه الناس وتدعوهم من خلال الحادث والمواقف التي تدور بينهم في هذا الكون، لأن ارتباط المدعو بما يدور حوله من أحداث ومستجدات، أمر ضروري، لأنه فرد منه يؤثر فيه ويتأثر به وبما يجرى حوله، ويظل هذا الأثر منقوشاً في الذاكرة، وهذا هو ما أبانه عثمان بن عفان ﷺ لعمر بن الخطاب ﷺ حينما استشاره "فتشهد، وقال: أرى يا أمير المؤمنين أن تكتب إلى أهل الشام فيسيروا من شأمهم، وتكتب إلى أهل اليمن فيسيروا من يمنهم، ثم تسير أنت بأهل هذين الحرمين إلى المصرين: الكوفة والبصرة، فتلقى جمع المشركين بجمع المسلمين، فإنك إذا سرت بمن معك وعندك قل في نفسك ما قد تكاثر من عدد القوم، وكنت أعز عزًا وأكثر، يا أمير المؤمنين إنك لا تستبقي من نفسك بعد العرب باقيه، ولا تمتع من الدنيا بعزيز، ولا تلوذ منها بحريز، إن هذا اليوم له ما بعده من الأيام، فاشهده برأيك وأعوانك ولا تغب عنه"[٢]، ففي هذه الحالة يشترك في الدعوة بالتوجيه، معايشة الحدث، فيسمع المدعو بالأذن

(١) تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ج٢، صـ٤٧٦.
(٢) تاريخ الطبري، ج٤، ص١٢٥.

ويشاهد بالعين، فيشترك في ذلك عدة حواس، وهذه هي درجة اليقين، وكلما مر بخاطره هذا الحدث فيعود إلى نفسه ويقوم خطأه، متعظاً بما رأى، أو تذكر من أحداث، إنها فرصة الداعية والمصلح الناجح، الذى يستغل الحدث، وقد تهيأت بسببه القلوب لاستقبال التوجيه الذى ينفذ إلى القلب مباشرة، ليعلمهم حدثاً هم في أمس الحاجة إليه، ليقيهم من الأخطار التي تحدق بهم إذا لم يوجهوا الوجهة الصحيحة.

٣: وسيلة الكتاب

تعد الكتابة إحدى الوسائل الدعوية المهمة والناجحة، فهي أثبت للمعلومات، سهلة الاستعمال والانتشار، تجعل الألفاظ دقيقة ومركزة، وتدعو القارئ إلى استعادة القراءة، والنظر والتأمل، وقد استخدمها عثمان ﷺ حينما أراد أن يجمع الناس على مصحف واحد، بعدما تنازعوا واختلفوا في القرآن فقال في خطبته: "من أَكْتَبُ النّاس؟ قالوا: كَاتِبَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ زيد بن ثابت، قَالَ: فأيّ النّاس أعْرَب؟ قالوا: سعيد بن العاص، قَالَ عثمان: فَلْيُمْلِ سعيدٌ ولْيَكْتُب زيد، فكتب مَصَاحِفَ ففرَّقها في النّاس"(١)، وقد يعجز الإنسان أحيانًا عن تبليغ ما بداخلة مشافهة، فتتعين الكتابة، ويكون لها أثر بالغ كما أشار عثمان على عمر –رضي الله عنهما– في الموقف السالف بأن يكتب إلى أهل الشام وأهل اليمن ويسير بهما إلى الكوفة والبصرة لملاقاة المشركين، وهذا يدل على أن "الدُّعَاء إِلَى الْإِسْلَامِ بِالْكَلَامِ وَالْكِتَابَةِ، وَأَنَّ الْكِتَابَةَ تَقُومُ مَقَامَ النُّطْقِ"(٢)، وهذا يؤكد على أهمية الكتابة في الدعوة الإسلامية، كما استخدمها النبي ﷺ مع الملوك والأمراء، ومن بعده خلفاؤه.

٤: المسجد

يعد المسجد من المؤسسات الإسلامية التي لا يمكن الاستغناء عنها بأي

(١)تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الذهبي، ج٣، ص٩٧.

(٢)فتح الباري، ابن حجر، ج٦٣، ص١٠٩.

حال من الأحوال، فهو بداية الانطلاقة الحقيقية، لأى دعوة صحيحة هادفة، وهو المركز الأول الذى انبثق منه نور الرسالة المحمدية إلى العالم أجمع، فكان وسيلة لخلق أنموذج فريد للمسلم الصالح، والمسجد لم يكن للصلاة والعبادة فقط، بل كان بجانب ذلك مكاناً للتعليم، ومدارسة القرآن والحديث الشريف والتفسير، وجميع أمور الدين، "فكان المسجد أول مدرسة جماعية منظمة، عرفها العرب لتعليم الكبار والصغار، والرجال والنساء"(١)، وكان منطلق أنشطة كثيرة، وكان عثمان بن عفان ﷺ يهرع إلى المسجد عند وقوع حادثة أو أمر ليخطب الناس ويعلمهم من على منبره أمور دينهم، وكان يعقد فيه الاجتماعات، ويستقبل فيه الوفود، وكان يبرم فيه كل أمر ذي بال، واتخذ فيه المنبر: ليعلم الناس من فوقه، وليشهدوه ليأتموا به، فعن موسى بن طلحة قَالَ: سَمِعْتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ ﷺ وَهُوَ عَلَى المنبر والمؤذن يقيم الصلاة، وهو يستخير الناس يسألهم عن أخبارهم، وأسفارهم"(٢).

٥: التعليم

التعليم وسيلة من وسائل الدعوة التي يستخدمها الداعية في كل زمان ومكان، ولاسيما عند وجود الحاجة إليه، ليصل إلى تحقيق هدفه، وقد بين الله ﷻ أن التعليم من وسائل الدعوة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾(٣)، فالتعليم كوسيلة، له مكانه كبرى في الدعوة إلى الله، "لأنه يتطرق إلى النفس الانسانية من مداخلها الحقيقية، ويجعل الناصح في نظر المنصوح شخصاً طيب النوايا، حريصاً على المصلحة، ومن هنا يكون لكلامه قبول حسن"(٤)،

---

(١) أصول التربية الإسلامية في البيت والمدرسة والمجتمع، النحلاوي، صـ١١٨.

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير، ج٧، صـ٢٤١.

(٣) سورة الجمعة الآية "٢".

(٤) التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، محمد منير مرسى، بدون ط، سنة ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٥م،عالم الكتب، القاهرة، صـ٨١.

وتظهر وسيلة التعليم الدعوية في خطب عثمان ﷺ حينما "خَرَجَ الْمِصْرِيُّونَ إِلَى قَصْدِ عُثْمَانَ أَظْهَرُوا أَنَّهُمْ يُرِيدُونَ الْعُمْرَةَ، وَبَعَثَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ رَسُولًا إِلَى عُثْمَانَ يُخْبِرُهُ بِحَالِهِمْ، وَأَنَّهُمْ قَدْ أَظْهَرُوا الْعُمْرَةَ وَقَصْدُهُمْ خَلْعُهُ أَوْ قَتْلُهُ، فَخَطَبَ عُثْمَانُ النَّاسَ وَأَعْلَمَهُمْ حَالَهُمْ، وَقَالَ لَهُمْ: إِنَّهُمْ قَدْ أَسْرَعُوا إِلَى الْفِتْنَةِ وَاسْتَطَالُوا عُمْرِي، وَاللَّهِ لَئِنْ فَارَقْتُهُمْ لِيَتَمَنَّوْنَ أَنَّ عُمْرِي كَانَ عَلَيْهِمْ مَكَانَ كُلِّ يَوْمٍ سَنَةً مِمَّا يَرَوْنَ مِنَ الدِّمَاءِ الْمَسْفُوكَةِ وَالْإِحَنِ وَالْأَثَرَةِ الظَّاهِرَةِ وَالْأَحْكَامِ الْمُغَيَّرَةِ"[1]، فالتعليم وسيلة مهمة من وسائل الدعوة التي أرشدنا إليها الشارع الحكيم، وينبغي على الدعاة عدم إهمالها.

المطلب الثاني: الدلالات الدعوية المتعلقة بالأساليب الدعوية.

إن معرفة الأساليب بالنسبة للداعية أمر مهم، فتنوعها في الدعوة الإسلامية له أثر كبير وفعال لدى المدعوين، ولقد سلك ذو النورين ﷺ منهجًا واضحًا، ذا أساليب متعددة من أجل تبليغ دعوته، ومن هذه الأساليب الدعوية ما يلي:-

١: ضرب الأمثال

إن الدعوة بضرب الأمثال، من الأساليب التي انتهجها الإسلام في دعوة أتباعه وتوجيههم، لما لها من أثر فعال في النفوس، فهي تجسد المعاني وتوضحها، فتظل عالقة بالذهن، راسخة في الخيال، فالمعاني المعقولة لا تستقر في الأذهان إلا إذا صيغت في صورة حية قريبة الفهم، وكأنها محسوسة ملموسة لتصل إلى العقل والقلب عن طريق النظر والحس، يقول ابن القيم –رحمه الله-: "فَفِي الْأَمْثَالِ مِنْ تَأْنِيسِ النَّفْسِ وَسُرْعَةِ قَبُولِهَا وَانْقِيَادِهَا لِمَا ضُرِبَ لَهَا مَثَلُهُ مِنْ الْحَقِّ أَمْرٌ لَا يَجْحَدُهُ أَحَدٌ، وَلَا يُنْكِرُهُ، وَكُلَّمَا ظَهَرَتْ لَهَا الْأَمْثَالُ ازْدَادَ الْمَعْنَى ظُهُورًا وَوُضُوحًا، فَالْأَمْثَالُ شَوَاهِدُ الْمَعْنَى الْمُرَادِ، وَمُزَكِّيَةٌ

(١) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج٢، ص٥٣٢.

لَهُ"(١)، فهي أكثر تأثيراً من الكلام المجرد، لأنها تقرب الصورة، وتجلب الانتباه، وترفع الحجاب عن القلوب الغافلة، وقد استخدم سيدنا عثمان ﷺ أسلوب ضرب الأمثال في خطبه فمن ذلك، ما رواه عَبْد الرَّحْمَنِ بْن الْحَارِثِ قَالَ: سَمِعْتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ خَطِيبًا، سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: "اجْتَنِبُوا أُمَّ الْخَبَائِثِ، فَإِنَّهُ كَانَ رَجُلٌ مِمَّنْ قَبْلَكُمْ يَتَعَبَّدُ، وَيَعْتَزِلُ النَّاسَ، فَعَلِقَتْهُ امْرَأَةٌ، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ خَادِمًا، فَقَالَتْ: إِنَّا نَدْعُوكَ لِشَهَادَةٍ، فَدَخَلَ فَطَفِقَتْ كُلَّمَا يَدْخُلُ بَابًا، أَغْلَقَتْهُ دُونَهُ حَتَّى أَفْضَى إِلَى امْرَأَةٍ وَضِيئَةٍ جَالِسَةٍ وَعِنْدَهَا غُلَامٌ وَبَاطِيَةٌ فِيهَا خَمْرٌ، فَقَالَتْ: إِنَّا لَمْ نَدْعُكَ لِشَهَادَةٍ، وَلَكِنْ دَعَوْتُكَ لِتَقْتُلَ هَذَا الْغُلَامَ، أَوْ تَقَعَ عَلَيَّ، أَوْ تَشْرَبَ كَأْسًا مِنْ هَذَا الْخَمْرِ، فَإِنْ أَبَيْتَ صِحْتُ بِكَ وَفَضَحْتُكَ، قَالَ: فَلَمَّا رَأَى أنه لابد مِنْ ذَلِكَ، قَالَ اسْقِينِي كَأْسًا مِنْ هَذَا الْخَمْرِ، فَسَقَتْهُ كَأْسًا مِنَ الْخَمْرِ فَقَالَ: زِيدِينِي، فَلَمْ يَزَلْ حَتَّى وَقَعَ عَلَيْهَا، وَقَتَلَ النَّفْسَ"(٢).

لذا ينبغي على الداعية أن يستعمل هذا الأسلوب، وخاصة إذا واجهته بعض الصعوبات في التربية والتوجيه، ووصول المعلومة إلى ذهن المدعو.

٢: الترغيب والترهيب

الترغيب والترهيب من الأساليب المؤثرة تأثيراً فعالاً في تنشئة المدعوين تنشئة صالحة، وذلك باستغلال ميولهم الفطرية، ونوازع الخير فيهم، بتوجيهها إلى ما ينفعها ويفيدها، ويحقق لهم السعادة في الدنيا والآخرة، واجتنابها لما يؤذيها، ويكون مصدر آلامها وتعبها، من أجل ذلك "يحرص القرآن الكريم على اتباع منهج الجمع بين الترغيب والتخويف، سبباً في البعد عن الهدم والانهزام، وسلبيات الأمور والأوضاع، ويفهم الإنسان المؤمن العاقل حين اقتران الترغيب بالترهيب ضرورة الموازنة، والتفكير الجدى، والعمل الحاكم بتوجيه نفسه وغيره

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، ج١/ ١٨٣.

(٢) السنن الكبرى، البيهقي، ٨/٥٠٠، (١٧٣٣٩).

نحو الخير، واجتناب الشر والمنكر"[١]، وقد اكثر من استخدامها سيدنا عثمان ﷺ فمن ذلك ما قاله في أول خطبة له بعد المبايعة: "..... والكف عنكم إلا فيما استوجبتم..." [٢]، وقوله: "كفكفوا الناس وهبوا لهم حقوقهم واغتفروا لهم وإذا تعوطيت حقوق الله فلا تدهنوا فيها"[٣]، ومن هنا كان لأسلوب الترغيب والترهيب أهمية كبرى في عملية الدعوة، لأنه يتفق مع طبيعة البشر، والتي إذا اشتاقت إلى شيء ما، زاد اهتمامها به، فسرعان ما تعمل من أجل الوصول إلى أسبابه، رغبة في الحصول عليه، وكذلك إذا خافت من شيء نفرت منه، وهابته، وابتعدت عنه، فالنفس البشرية بطبيعتها وفطرتها ترجو وتخاف، فالترغيب والترهيب أسلوبان مهمان من أساليب الدعوة الإسلامية.

٣: التنبيه

يعتبر التنبيه من أهم أساليب الدعوة، فهو يجلب أسماع المدعوين وتركيزهم، ويزيد الثقة عند المدعوين فيما يدعو الداعي إليه، لذا نجد خطب ذي النورين ﷺ اشتملت على هذا الأسلوب في معرض مخاطبة المدعوين، حيث كان يصدر خطبه بقوله: (أما بعد) لإثارة انتباه السامعين إلى الشروع في الخطبة، ووجوب السماع لها، و(أيها الناس)، و(ألا)، و"تصدير القول بحرف التنبيه؛ ليدل على أن مضمون الكلام مما له خطر يستوجب العناية والاهتمام"[٤]، ولشد انتباه المدعوين إلى ما يدعو إليه الداعي.

٤: الشدة

الأصل في الدعوة إلى الله تعالى أن تكون بالرفق واللين، والموعظة الحسنة، ولكن قد يحتاج الداعية إلى أسلوب الشدة مع من أساء الأدب،

---

(١) التفسير الوسيط، الزحيلي، ج١، صـ٥٠٣.

(٢)تاريخ الطبري، ج٤، صـ٤٢٢.

(٣)تاريخ الطبري، ج٤، صـ٣٤٣.

(٤)البلاغة الصافية في المعاني والبيان والبديع، حسن بن إسماعيل بن حسن، ص١٧٦، المكتبة الأزهرية للتراث القاهرة – مصر، الطبعة: سنة ٢٠٠٦ م

أو المعاند إذا أساء الأدب، أو استخف بالدعوة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾[(١)]، لمن لم يكن عنده شبهة في إقامة الحد عليه، ولذلك قال عثمان ﷺ في خطبته: "كفكفوا الناس وهبوا لهم حقوقهم واغتفروا لهم وإذا تعوطيت حقوق الله فلا تدهنوا فيها"[(٢)]، فأسلوب الشدة والغلظة بالمخطئ والمستهتر بالأحكام الشرعية، وإنزال العقوبة الشرعية به؛ تبعث روح الطمأنينة والأمن في النفوس، وفى ذلك حماية حاسمة وصادقة لكرامة الإنسان، "والمقصود من فرض عقوبة على عصيان أمر الشارع هو إصلاح حال البشر، وحمايتهم من المفاسد واستنقاذهم من الجهالة، وإرشادهم من الضلالة، وكفهم عن المعاصي وبعثهم على الطاعة"[(٣)].

إذن فأسلوب الشدة في الدعوة مطلوب عند ظهور العناد، والاستخفاف بالدعوة من بعض المدعوين، وعند إقامة الحدود.

---

(١) سورة النور من الآية "٢".

(٢)تاريخ الطبري، ج٤، صـ٣٤٣.

(٣) التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالتشريع الوضعي، عودة، .، ج ١ صـ٦٠٩.

الفصل الرابع

الدلالات الدعوية المتعلقة بموضوعات الدعوة من خلال خطب ذي النورين

من يدقق النظر في خطب عثمان ﵁ يجدها قد اشتملت على موضوعات دعوية متعددة سواء كانت متعلقة بالجانب العقدي، أو التشريعي، أو الأخلاقي، وبيانها كالتالي:-

المطلب الأول: الدلالات الدعوية المتعلقة بموضوع العقيدة.

العقيدة الصحيحة هي الأساس العظيم الذي يقوم عليه الإسلام، وكانت مهمة الأنبياء والرسل -عليهم السلام-؛ ترسيخ العقيدة الصحيحة في نفوس أتباعهم، وبيانها بيانًا شافيًا كافيًا، وتصحيح ما طرأ عليها من التغير والانحراف، وهذه هي مهمة ورثة الأنبياء من العلماء والدعاة، مما يحتم على كل داعية أن يهتم بالعقيدة الإسلامية الصحيحة، وبيان أصول الإيمان، والمتأمل في خطب ذي النورين يجدها قد اشتملت على القضايا العقدية المختلفة ومنها:-

١: توحيد الله -ﷻ-

إن الإيمان بالله -ﷻ- هو أساس الدين، وأول الواجبات علي الإنسان، ولذلك فهو مقدم علي جميع أركان الإيمان، لأنه أساس لها، فلا يصح إيمان عبد بشيء من أركان الإيمان، إلا بعد الإيمان بالله -ﷻ- ولذلك "اتجه الرسل -عليهم السلام- جميعاً إلى دعوة الناس إلى توحيد الله -ﷻ- وترك تأليه ما سواه"(١)، ولقد ذكر سيدنا عثمان ﵁ في خطبه هذه الحقيقة التي جاء بها الأنبياء جميعًا، فَقَالَ: الحمد لله أحمده وَأَسْتَعِينُهُ وَأُومِنُ بِهِ وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شريك لَهُ وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فَقَدْ غوى، إني أيها النَّاس قَدْ وليت أمركم

---

(١) دعوة الرسل عليهم السلام، غلوش، صـ٥٠٩.

فأستعين اللَّه"[١]، وفِي رواية لَهُ: "خطب عُثْمَان فَقَالَ: الحمد لِلَّهِ الَّذِي لا ينبغي الحمد إلا لَهُ، الحمد لِلَّهِ الَّذِي هدانا للإسلام وأكرمنا بمحمد ﷺ"[٢]، وهذا هو أول مبدأ بايع عليه رسول الله ﷺ كل من أعتنق دينه، وأول ما دعا إليه رسول الله ﷺ ملوك الأرض، وواجب على الدعاة أن يعلموا المدعوين أن أول شئ يجب علي المكلفين هو علمهم بوحدانية الله ﷻ وإخلاص العبادة له، حتي يتحرر الناس من الخضوع والطاعة والعبودية لغير الله ﷻ.

٢: الإيمان باليوم الآخر

إن الإيمان باليوم الآخر من القضايا الدعوية العقدية، والتي لا يكمل إيمان العبد إلا بها، وَمِنْ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ: الْإِيمَانُ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مِمَّا يَكُونُ بَعْدَ الْمَوْتِ: "فَيُؤْمِنُونَ بِفِتْنَةِ الْقَبْرِ وَعَذَابِه وَنَعِيمِهِ ثُمَّ بَعْدَ هَذِهِ الْفِتْنَةِ: إمَّا نَعِيمٌ وَإِمَّا عَذَابٌ إلَى أَنْ تَقُومَ الْقِيَامَةُ الْكُبْرَى فَتُعَادُ الْأَرْوَاحُ إلَى الْأَجْسَادِ وَتَقُومُ الْقِيَامَةُ وَتُنْشَرُ الدَّوَاوِينُ، فَآخِذٌ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ وَآخِذٌ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ أَوْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ، وَيُحَاسِبُ اللَّهُ الْخَلَائِقَ"[٣]، والقرآن الكريم اعتنى بمشاهد يوم القيامة، وصورها لنا تصويراً دقيقاً رائعاً، كأننا نراه ونشاهده، فأخبر الله ﷻ أنه سيأتي يومٌ لابد وأن ينتهي فيه الوجود، ليأتي يوم آخر للحساب فيه والجزاء، ولقد شاء الله ﷻ أن يجعل هذا اليوم من الأمور الغيبية التي استأثر بها علمه ﷻ، فلا يطلع عليها أحد من البشر، حتى يكون الناس على حذر دائم، وتوقع مستمر لهذا اليوم، ولكى ينزجر الظالم عن ظلمه، فلا ينتهك حقوق الآخرين، ويظهر ذلك جليًا في خطب سيدنا عثمان ﷺ قَالَ مُجَاهِدٌ: خَطَبَ عُثْمَانُ فَقَالَ: ابْنَ آدَمَ! اعْلَمْ أَنَّ مَلَكَ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكَ لَمْ يَزَلْ يُخْلِفُكَ وَيَتَخَطَّى إِلَى غَيْرِكَ مُنْذُ أَنْتَ فِي الدُّنْيَا، وَكَأَنَّهُ قَدْ تَخَطَّى غَيْرَكَ إِلَيْكَ، وَقَصَدَكَ، فَخُذْ حِذْرَكَ، وَاسْتَعِدَّ لَهُ، وَلَا تَغْفُلْ فَإِنَّهُ لَا يَغْفُلُ عَنْكَ، وَاعْلَمْ ابْنَ آدَمَ إِنْ غَفَلْتَ عَنْ نَفْسِكَ وَلَمْ تَسْتَعِدَّ

---

(١) أنساب الأشراف، البلازري، ج٥، ص٥١١.

(٢) المرجع السابق.

(٣) مجموع الفتاوي، ابن تيمية، ج٣، ص١٤٥ وما بعدها، بتصرف.

لَهَا لَمْ يَسْتَعِدَّ لَهَا غَيْرُكَ، وَلَا بُدَّ مِنْ لِقَاءِ اللَّهِ، فَخُذْ لِنَفْسِكَ وَلَا تَكِلْهَا إِلَى غَيْرِكَ وَالسَّلَامُ، وقال في آخر خطبة له" إِنَّ اللَّهَ إِنَّمَا أَعْطَاكُمُ الدُّنْيَا لِتَطْلُبُوا بِهَا الْآخِرَةَ، وَلَمْ يُعْطِكُمُوهَا لِتَرْكَنُوا إِلَيْهَا، إِنَّ الدُّنْيَا تَفْنَى وَإِنَّ الْآخِرَةَ تَبْقَى، لَا تُبْطِرَنَّكُمُ الْفَانِيَةُ، وَلَا تَشْغَلَنَّكُمْ عَنِ الْبَاقِيَةِ، وآثروا مَا يَبْقَى عَلَى مَا يَفْنَى، فَإِنَّ الدُّنْيَا مُنْقَطِعَةٌ وَإِنَّ الْمَصِيرَ إِلَى اللَّهِ"(١)، فعلى الدعاة أن يبينوا للمدعوين أنه لابد من ترك الدنيا والخروج منها للعرض والمؤاخذة، وأن يحيوا في نفوسهم عقيدة البعث والجزاء، ليكونوا على استعداد دائم له.

٣: الإيمان بالقضاء والقدر

في خطب سيدنا عثمان ﷺ إشارة إلى وجوب الإيمان بالقضاء والقدر، وأن كل ما يقع في هذا الكون لا يخرج عن مراد الله ﷻ وقدره فَقَالَ في إحدى خطبه: "يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ، إِنِّي أَسْتَوْدِعُكُمُ اللَّهَ، وَأَسْأَلُهُ أَنْ يُحْسِنَ عَلَيْكُمُ الْخِلافَةَ مِنْ بعدي، وانى وَاللَّهِ لا أَدْخُلُ عَلَى أَحَدٍ بَعْدَ يَوْمِي هَذَا حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيَّ قَضَاءَهُ"(٢)، فرد الأمر إلى مشيئة الله ﷻ المطلقة، وإلى علمه الشامل الذى يسع كل شيء، وهذا من عمق الإيمان بقضاء الله -ﷻ- وقدره.

ولقد أثبت سيدنا عثمان ﷺ أن للإنسان فعلاً فقال في خطبته: "أما والله لقد نقموا على ابن الخطّاب فقمعهم ومنعهم، ونعم الله أنا أعزّ ناصرًا، وأكثر عددًا، فما لي لا أفعل في الحق ما أشاء"(٣)، ولكنها راجعة إلى إرادة الله ﷻ ومشيئته، فالإيمان بالقضاء والقدر لا يعنى نفى الاختيار عن الإنسان في أفعاله، وإلا لاحتج على معاصيه وذنوبه بالقدر، "إذن فقد جعل الله للعبد أن يختار الهدى، أو أن يختار الضلال، وما يفعله العبد ويختاره لا يفعله قهراً عن الله، لأنه ﷻ لو لم يخلق كلاً منا مختاراً، لما استطاع الإنسان أن يفعل غير مراد الله، ولكنه خلق الإنسان مختاراً وساعة ما تختار أيها الإنسان الهداية،

(١) البداية والنهاية، ابن كثير، ج٧، ص٢١٥.

(٢) تاريخ الطبري، ج٤، ص٣٨٥.

(٣)كنز الدرر وجامع الغرر، أبو بكر بن عبد الله بن أيبك الدواداري، ج٣، ص٢٨١، عيسى البابي الحلبي.

أو تختار الضلال، فهذا ما منحه الله لك، وسبحانه قد بين أن الذى يظلم، والذى يفسق، هو أهل لأن يعينه الله على ضلاله تماماً، كما يعين من يختار الهداية، لأنه أهل أن يعينه الله على الهداية"(١)، فلا يعمل أحد خيراً إلا بتوفيق الله، ولا شراً إلا بخذلانه.

المطلب الثاني: الدلالات الدعوية المتعلقة بموضوع الشريعة.

لا بد للداعية أن يكون على قدر مناسب من الأحكام الشرعية، ليدلي بدلوه فيما يعرف من المسائل التي تعرض عليه من المدعوين، ويبحث ويفتش فيما لا يعرفه من الأحكام في مراجعها الأصيلة، ومظانها الموثقة، لاجتذاب المدعوين على اختلاف ثقافاتهم وميولهم، والمتأمل في خطب ذي النورين ﷺ يجد كثرة في عرض الموضوعات الشريعة وأحكامها، وفيما يلي عرض لأهم هذه الموضوعات:-

١: إقراره بعض الأحكام المتعلقة بالزكاة

يظهر هذا الإقرار في خطبته التي قال فيها عن السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ أَنَّهُ سَمِعَ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ ﷺ خَطِيبًا عَلَى مِنْبَرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَقُولُ: "هَذَا شَهْرُ زَكَاتِكُمْ" وَلَمْ يُسَمِّ لِيَ السَّائِبُ الشَّهْرَ وَلَمْ أَسْأَلْهُ عَنْهُ قَالَ: فَقَالَ عُثْمَانُ: "فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ عَلَيْهِ دَيْنٌ فَلْيَقْضِ دَيْنَهُ حَتَّى تَخْلُصَ أَمْوَالُكُمْ فَتُؤَدُّوا مِنْهَا الزَّكَاةَ"(٢)، حيث اشترط لأداء الزكاة حوَلانَ الحول، ثم دعا عثمان بن عفان ﷺ الناس إلى حساب وعاء الزكاة، واستحث الناس على أداء ما عليهم من ديون؛ وفاء منهم للدائنين، وتسهيلاً لحساب المال الخاضع للزكاة، فإذا بلغ نصابًا بعد إخراج الدين أو زاد وجبت زكاته، "وَعِنْدَ مَالِكٌ إِنْ كَانَ عِنْدَهُ عُرُوضٌ تُوَفِّي الدَّيْنَ تَرَكَ الْعَيْنَ وَجَعَلَهَا فِي مُقَابَلَةِ الدَّيْنِ وَهِيَ الَّتِي يَبِيعُهَا الْحَاكِمُ فِي الدَّيْنِ مَا يَفْضُلُ عَنْ ضَرُورَتِهِ وَإِنْ كَانَ لَهُ دَيْنٌ عَلَى مَلِيءٍ ثِقَةٍ جَعَلَهُ فِي مُقَابَلَةِ دَيْنِهِ أَيْضًا. وَزَكَّى

(١) تفسير الشعراوي، ج٧، صـ٤٣٧٦.

(٢) رواه البيهقي في السنن الكبرى،، ٤، ٢٤٩، رقم: (٧٦٠٧)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

الْعَيْنَ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا مَا بِيَدِهِ سَقَطَتْ الزَّكَاةُ"[١].

٢: بيان حكم اجتماع العيد مع الجمعة في يوم واحد

حيث رخص عثمان ﷺ ترك الجمعة لمن صلى العيد من مكان بعيد تَخْفِيفًا، فعَنْ أَبِي عُبَيْدٍ، قَالَ: شَهِدْتُ عُثْمَانَ وَاجْتَمَعَ فِطْرٌ وَجُمُعَةٌ، فَخَطَبَ عُثْمَانُ ﷺ النَّاسَ بَعْدَ الصَّلَاةِ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ هَذَيْنِ الْعِيدَيْنِ قَدِ اجْتَمَعَا فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْعَوَالِي فَأَحَبَّ أَنْ يَمْكُثَ حَتَّى يَشْهَدَ الْجُمُعَةَ فَلْيَفْعَلْ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْصَرِفَ قَدْ أَذِنَّا لَهُ»[٢]، "فمن الأعذار المبيحة للتخلف عن الجمعة؛ اجتماعها مع العيد في يوم واحد، فيرخص لمن صلى العيد مع الإمام ترك الجمعة"[٣].

٣: الأمر بقتل الكلاب وذبح الحمام لمصلحة

لقد شهد المجتمع آنذاك تحولًا اقتصاديًا كبيرًا، حيث كانت تتوالى عليهم المغانم والفتوحات، فبدأ الناس يخرجون من ضيق العيش إلى السعة، ومال بعضهم إلى الشهوات وركنوا إلى الدنيا، فأمر بذبح الحمام وقتل الكلاب، فعن الْحَسَن ﷺ، قَالَ: "شَهِدْتُ عُثْمَانَ يَأْمُرُ فِي خُطْبَتِهِ بِقَتْلِ الْكِلَابِ، وَذَبْحِ الْحَمَامِ"[٤]، وذلك حينما ظهر اللعب بالحمام، والمهارشة بين الكلاب، "فَإِن صَحَّ أمره بقتلها فَإِنَّمَا كَانَ ذَلِك فِي وَقت لمفسدة طرأت فِي زَمَانه، فَظهر من هَذَا أَنه لَا يلْزم من الْأَمر بقتلها فِي وَقت لمصْلحَة أَن لَا يضمن قاتلها فِي وَقت آخر"[٥].

---

(١)مجموع الفتاوي، ابن تيمية، ج٢٥، ص١٩.

(٢) مصنف عبد الرازق، ٣/ ٣٠٥، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي- الهند، المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ.

(٣)الدين الخالص، محمود محمد خطاب السّبكي، ج٤، ص٢٢٩، تحقيق: أمين محمود خطاب، المكتبة المحمودية السبكية، الطبعة: الرابعة، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م.

(٤) رواه الإمام أحمد في مسنده، ٥٤٣/١، رقم: (٥٢١).

(٥)عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العينى، ج١٢، ص٥٩، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٤: النهي عن اللعب بالنرد والشطرنج

حيث نهى عثمان ﷺ عن اللعب بالنرد وأمر بتحريقه أو كسره ممن كان في بيته، فعَنْ زُبَيْدِ بْنِ الصَّلْتِ ﷺ، أَنَّهُ سَمِعَ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ ﷺ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ يَقُولُ: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِيَّاكُمْ وَالْمَيْسِرَ، يُرِيدُ النَّرْدَ ، فَإِنَّهَا قَدْ ذُكِرَتْ لِي أَنَّهَا فِي بُيُوتِ نَاسٍ مِنْكُمْ، فَمَنْ كَانَتْ فِي بَيْتِهِ فَلْيَحْرِقْهَا أَوْ فَلْيَكْسِرْهَا"، قَالَ: عُثْمَانُ ﷺ مَرَّةً أُخْرَى وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قَدْ كَلَّمْتُكُمْ فِي هَذَا النَّرْدِ، وَلَمْ أَرَكُمْ أَخْرَجْتُمُوهَا، وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِحِزَمِ الْحَطَبِ ثُمَّ أُرْسِلَ إِلَى بُيُوتِ الَّذِينَ هِيَ فِي بُيُوتِهِمْ فَأُحَرِّقَهَا عَلَيْهِمْ"(١)، فاللعب بها منهي عنه، وهو نوع من القمار و"هِيَ إِلْهَاءُ وَشَرٌّ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ مِمَّا يُلْهِي عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى غَالِبًا وَلِأَنَّهُ نَوْعٌ مِنْ الْمَيْسِرِ يُقْصَدُ بِهِ الْمُبَالَغَةُ فِيمَا لَا مَنْفَعَةَ فِيهَا مِنْ عَمَلِ دِينٍ وَلَا دُنْيَا"(٢).

٥: الأمر باجتناب الخمر

فعن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ قَالَ: سَمِعْتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ ﷺ خَطِيبًا، سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: "اجْتَنِبُوا أُمَّ الْخَبَائِثِ، فَإِنَّهُ كَانَ رَجُلٌ مِمَّنْ قَبْلَكُمْ يَتَعَبَّدُ، وَيَعْتَزِلُ النَّاسَ، فَعَلِقَتْهُ امْرَأَةٌ، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ خَادِمًا، فَقَالَتْ: إِنَّا نَدْعُوكَ لِشَهَادَةٍ، فَدَخَلَ فَطَفِقَتْ كُلَّمَا يَدْخُلُ بَابًا، أَغْلَقَتْهُ دُونَهُ حَتَّى أَفْضَى إِلَى امْرَأَةٍ وَضِيئَةٍ جَالِسَةٍ وَعِنْدَهَا غُلَامٌ وَبَاطِيَةٌ فِيهَا خَمْرٌ، فَقَالَتْ: إِنَّا لَمْ نَدْعُكَ لِشَهَادَةٍ، وَلَكِنْ دَعَوْتُكَ لِتَقْتُلَ هَذَا الْغُلَامَ، أَوْ تَقَعَ عَلَيَّ، أَوْ تَشْرَبَ كَأْسًا مِنْ هَذَا الْخَمْرِ، فَإِنْ أَبَيْتَ صِحْتُ بِكَ وَفَضَحْتُكَ، قَالَ: فَلَمَّا رَأَى أنه لابد مِنْ ذَلِكَ، قَالَ اسْقِينِي كَأْسًا مِنْ هَذَا الْخَمْرِ، فَسَقَتْهُ كَأْسًا مِنَ الْخَمْرِ فَقَالَ: زِيدِينِي، فَلَمْ يَزَلْ حَتَّى وَقَعَ عَلَيْهَا، وَقَتَلَ النَّفْسَ، فَاجْتَنِبُوا الْخَمْرَ، فَإِنَّهُ وَاللَّهِ لَا يَجْتَمِعُ الْإِيمَانُ وَإِدْمَانُ الْخَمْرِ فِي صَدْرِ رَجُلٍ أَبَدًا، لَيُوشِكَنَّ أحدهما يخرج صاحبه"(٣)، فالأمر باجتناب الخمر

---

(١) رواه البيهقي في السنن الكبرى، ١٠/ ٣٦٤، ٢٠٩٥٦.

(٢)المنتقى شرح الموطإ، أبو الوليد الباجي، ج٧، ص٢٧٨، مطبعة السعادة، مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٣٢ هـ.

(٣) رواه ابن حبان صحيحه، ١٢/ ١٦٩، رقم: (٥٣٤٨).

كان من الموضوعات الدعوية التي تناولها سيدنا عثمان ﷺ في خطبه لضررها على المدعوين، وما تحدثه من ذهاب العقول، فلا يدري صاحبها ما يقول، ولا يدرك ماذا يفعل، فضلًا عن أن الخمر أم الموبقات والفواحش، حيث أثرت في صاحبها حتى زنى وقتل.

المطلب الثالث: الدلالات الدعوية المتعلقة بموضوع الأخلاق.

النبي ﷺ منذ بعثته سعى إلى تقويم الأخلاق وتهذيبها، فتم الله به كل فضيلة، وأزاح به كل رذيلة، حيث قال ﷺ: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق»[1].

فالتحلي بالأخلاق والتجمل بها والبعد عن مذمومها؛ واجب على كل مسلم ومسلمة سواء أكان داعية أو غيره؛ إذ الأخلاق من مقاصد البعثة المحمدية التي أكرم الله بها الخلق في الأرض، وستظهر عناية عثمان بن عفان ﷺ بموضوع الأخلاق في خطبته من خلال هذا المبحث، وهو يتضمن جانبًا من بيانه وتصويره لجوانب الأخلاق من خلال خطبه.

١: التذكير بمكارم الأخلاق، والنهي عن مساوئها

إن تهذيب الأخلاق، وتزكية النفوس، هدف رئيس، وغاية معتبرة في دعوة الرسل –عليهم السلام– وتشغل حيزاً كبيراً في ذلك، ولقد حقق النبي ﷺ هذا الهدف على أرض الواقع، حيث ربى صحابته الكرام على مكارم الأخلاق، وأفضلها، وحثهم على التمسك بها، فلم يترك فضيلة من الفضائل إلا ودعا إليها، ونهاهم عن قبيحها، ولم يترك رذيلة من الرذائل إلا ونبههم للابتعاد عنها، وهذا ما أكده سيدنا عثمان ﷺ في خطبته، فعن عَبَّاد بْن زَاهِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ عُثْمَانَ يَخْطُبُ، فَقَالَ: إِنَّا وَاللَّهِ قَدْ صَحِبْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ، فكَانَ «يَعُودُ مَرْضَانَا، وَيَتْبَعُ جَنَائِزَنَا وَيَغْزُو مَعَنَا، وَيُوَاسِينَا بِالْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ»[2] وهذا يؤكد على الحاجة الملحة إلى الحديث عن الأخلاق، فهي

(١)أخرجه أحمد في المسند من حديث أبي هريرة–ﷺ–(٢/٥٠١)، رقم، (٨٩٢٧).

(٢) رواه أحمد في المسند، ٥٣٢/١، رقم: (٥٠٤).

مهمة أساسية من مهمات القائمين على الدعوة، ولذلك ركز عليها عثمان، "خَرَجَ عُثْمَانُ فَجَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَقَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ آفَّةٍ، وَلِكُلِّ أَمْرٍ عَاهَةً، وَإِنَّ آفَّةَ هَذِهِ الأُمَّةِ، وَعَاهَةَ هَذِهِ النِّعْمَةِ، عَيَّابُونَ طَعَّانُونَ، يَرُونَكُمْ مَا تُحِبُّونَ وَيُسِرُّونَ مَا تَكْرَهُونَ، يَقُولُونَ لَكُمْ وَتَقُولُونَ، أَمْثَالُ النَّعَامِ يَتْبَعُونَ أَوَّلَ نَاعِقٍ، أَحَبُّ مَوَارِدِهَا إِلَيْهَا الْبَعِيدُ، لا يَشْرَبُونَ إلا نَغَصًا وَلا يَرِدُونَ إلا عَكِرًا، لا يَقُومُ لَهُمْ رَائِدٌ، وَقَدْ أَعْيَتْهُمُ الأُمُورُ، وَتَعَذَّرَتْ عَلَيْهِمُ الْمَكَاسِبُ"(١)

وبناءً على ذلك: فإنه يجب على المسلم التحلي بمحاسن الأخلاق، والبعد عن مساوئها، لأن ذلك من مقاصد بعثة الرسل –عليهم السلام– لهداية البشرية إلى صراط الله المستقيم، فتتمكن الأخلاق الحميدة من سويداء قلوبهم، حتى تصير جزءًا لا يتجزأ من سلوكهم، ثم ينقي نفوسهم من الأخلاق الرذيلة، لأن سلامة المجتمعات، وقوة بنيانها مرهون بتمسكها بفضائل الأخلاق، والابتعاد عن رذائلها، فإن لم نفعل ذلك، ساد الانحراف والانحلال بين أفرادها.

ولذلك يجب على الدعاة أن يغرسوا في نفوس المدعوين الأخلاق الكريمة، ويحملوهم على الانتهاء عن سيئها.

٢: الحث على لزوم الجماعة وعدم التفرقة

التفرق بشتى أشكاله، حتى ولو كان صغيراً: مذموم شرعاً، لأن المنتفع من هذه الفرقة هو الشيطان، ومعه أولياؤه في كل زمان ومكان، وهذا هو ما أكده النبي ﷺ فعن جابر بن عبد الله ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم"(٢)، ومعناه: "أيس أن يعبده أهل جزيرة العرب، ولكنه سعى في التحريش بينهم بالخصومات، والشحناء، والحروب، والفتن، ونحوها"(٣)، لذلك حذر عثمان بن عفان ﵁ من ذلك في آخر خطبة له فقال: "......وَالْزَمُوا جَمَاعَتَكُمْ

---

(١) تاريخ الطبري، ج٤، ص٣٣٨.

(٢) رواه مسلم في صفات المنافقين، باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس، ٢١٦٦/٤، رقم ٢٨١٢.

(٣) شرح النووي على مسلم، ج١٧، صـ١٥٦.

لَا تَصِيرُوا أَحْزَابًا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ [1]، إلى آخر الآيتين"[2]، فالعالم لا يحترم إلا الأقوياء، ولا يمكن أن تصان المقدسات والحريات، إلا بالقوة القادرة على دفع العدوان، ورفع الظلم وكف الأذى، وأكبر معالم القوة ومقوماتها اتحاد الصف، واجتماع الكلمة، لأن الأمة المتحدة قوية في نفسها، ومهابة من قبل أعدائها، مصانة حرماتها وممتلكاتها، فلا يقدر مستعمر على مهاجمتها، ولا يفكر ظالم في احتلال أرضها وبلادها، فوحدة الصف والترابط والتماسك بين أجزاء المجتمع، من أكثر الأمور إسهاماً في بناء المجتمع.

٣: الحث على الرجوع إلى الحق وعدم التمادي في الباطل

إن الطبيعة البشرية عرضة للوقوع في الخطأ والزلل، فكل ابن آدم خطاء، وهنا تبدو شخصية المسلم بالمسارعة بالرجوع إلى الحق حينما ينزلق بعامل الخطأ، ولو كلفه ذلك قهر كبريائه، وقد استُنبطت هذه الدلالة الدعوية من خطبة عثمان ﷺ حينما صعد المنبر، فأقرَّ بما فعل، واستغفر ربّه وقال: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: "مَن زلَّ فليَتُبْ، ومَن أخطأ فليتُبْ، ولا يَتمادى في الهَلَكة"، فوالله لئن رَدَّني إلى الحقّ عبدٌ لأتَّبعتَّه، ولأستَنَّ بسنَّة العَدْل، ولأذِلَّنَ ذلَّ العبد المرقوق، إن مُلِك صبر، وإن عَتق شكر، وأنا أوَّل مَن اتَّعظ، وما عن الله مَذهب[3]، وهذا يدل على عظم خلق "الرجوع إلى الحق بدليله: والحق هو مقصد كل مسلم إذا ظهر واتضح، والرجوع إليه من أهم الصفات التي ينبغي

(١) سورة آل عمران/ الآية (١٠٣).

(٢) شعب الإيمان، البيهقي، ١٧١/١٣، رقم: (١٠١٢٨).

(٣)مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، شمس الدين أبو المظفر، المعروف بـ «سبط ابن الجوزي»، ج٦، ص٧٩، دار الرسالة العالمية، دمشق – سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م.

للداعية أن يتصف بها"[١]، فلم يبحث وقتها عن تخريجات فقهية تبرر ما يذهب إليه، ولم يستكبر، ولم يجد أي حرج أو ضيق في إعلانه الخطأ على رؤوس الأشهاد.

٤: التحذير من زينة الدنيا وزخارفها

ويظهر ذلك عندما "بَايَعَ أَهْلُ الشُّورَى عُثْمَانَ، خَرَجَ وَهُوَ أَشَدُّهُمْ كَآبَةً، فَأَتَى منبر رسول الله ﷺ، فَخَطَبَ النَّاسَ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَصَلَّى على النبي ﷺ، وَقَالَ: إِنَّكُمْ فِي دَارِ قَلِعَةٍ، وَفِي بَقِيَّةِ أَعْمَارٍ، فَبَادِرُوا آجَالَكُمْ بِخَيْرِ مَا تَقْدِرُونَ عَلَيْهِ، فَلَقَدْ أُتِيتُمْ، صُبِّحْتُمْ أَوْ مُسِّيتُمْ، أَلا وَإِنَّ الدُّنْيَا طُوِيَتْ عَلَى الْغَرُورِ، فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَياةُ الدُّنْيا، وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُور، اعتبروا بمن مضى، ثم وجدوا وَلا تَغْفَلُوا، فَإِنَّهُ لا يُغْفَلُ عَنْكُمْ أَيْنَ أَبْنَاءُ الدُّنْيَا وَإِخْوَانُهَا الَّذِينَ أَثَارُوهَا وَعَمَّرُوهَا، وَمُتِّعُوا بِهَا طَوِيلا، أَلَمْ تَلْفِظْهُمْ! ارْمُوا بِالدُّنْيَا حَيْثُ رَمَى اللَّهُ بِهَا، وَاطْلُبُوا الآخِرَةَ، فَإِنَّ اللَّهَ قد ضرب لها مثلا، وللذي هُوَ خَيْرٌ، فَقَالَ ﷻ: «وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيا كَماءٍ أَنْزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ» الى قوله «أَمَلًا» ، وَأَقْبَلَ النَّاسُ يُبَايِعُونَهُ"[٢]، في هذه الخطبة نرى سيدنا عثمان ﷺ كيف حذر الناس من الدنيا وزينتها وقد شهيت إلى الناس، ودعاهم إلى عدم الثقة بها أو الركون اليها، وهذا هو المناسب لخطبته في ذلك الوقت الذي فتحت فيه البلدان وأقبلت الدنيا بنعيمها، وبدأ الناس في الإقبال عليها والتنافس فيها.

---

(١)فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري، سعيد بن علي بن وهب القحطاني، ج٢، ص٨٥٥، وأصل الكتاب: رسالة دكتوراه، من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ.

(٢) تاريخ الطبري، ج٤، ص٢٤٣.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، أحمده تعالى على ما منَّ به عليَّ من تيسير لهذا العمل المتواضع، وإني لأرجو أن أكون قد وفقت فيما أردت إظهاره وتجليته خلال هذه الدراسة، وقد تبين لي من خلال المعايشة لها بعض النتائج والتوصيات وهي كالتالي:-

أولًا: أهم النتائج

أن الداعية قبل شروعه في دعوته؛ عليه أن يطلب العون والسداد منه -تعالى- في أداء مهمته، فالداعية لن يستطيع أن ينجز شيئًا من دعوته، إلا بعد توفيق الله له، وإعانته على فعله.

أن الدعوة إلى الله- تعالى- لا بد وأن تكون على علم، فلا يتصور من شخص يدل الناس على طريق وهو جاهل به أصلًا، ففاقد الشيء لا يعطيه، وكلما زاد علم الداعية زاد انتفاع الناس بدعوته، وأما الجاهل فدعوته ضررها أكثر من نفعها.

من فقه الدعوة: أن يتعامل الداعية في بعض المواقف بالتلميح دون التصريح، لما قد يترتب عليه من ضرر قد يلحق بالمدعو والداعية نفسه.

فالمدعو الحريص على دينه هو الذي إذا أحس بخلل في أمر ما، أو أشكل عليه أمر ما، سعى إلى أهل العلم لسؤالهم، ليجد المدعو جوابًا، أو علاجًا لما أصابه.

أن التعليم وسيلة مهمة من وسائل الدعوة التي أرشدنا إليها الشارع الحكيم، وينبغي على الدعاة عدم إهمالها.

أنه يجب على الدعاة أن يعلموا المدعوين أن أول شيء يجب علي المكلفين هو علمهم بوحدانية الله ﷻ وإخلاص العبادة له، حتي يتحرر الناس من الخضوع والطاعة والعبودية لغير الله ﷻ.

إن تهذيب الأخلاق، وتزكية النفوس، هدف رئيس، وغاية معتبرة في الدعوة الإسلامية؛ ولذلك يجب على الدعاة أن يغرسوا في نفوس المدعوين الأخلاق الكريمة، ويحملوهم على الانتهاء عن سيئها.

أن وحدة الصف والترابط والتماسك بين أجزاء المجتمع، من أكثر الأمور إسهاماً في بناء المجتمع.

ثانيًا: التوصيات

أوصي بمواصلة الدراسات الدعوية ذات الصلة بخطب السابقين – لا سيما الخلفاء الراشدين–والعمل على الاهتمام بدراستها، لاستخراج ما فيها من درر، فهي تحتوي على دلالات دعوية مهمة تتعلق بالدعاة والمدعوين وموضوع الدعوة، والاقتداء بهديهم، فبأيهم اقتدى الدعاة، اهتدوا .

اهتمام الدعاة والمربين بإبراز التوجيهات المستنبطة من خطب السابقين ووصاياهم، واستخراج ما فيها من درر من خلال عقد الندوات والمؤتمرات بصفة مستمرة، وربطها بالواقع المعاصر، فمن ليس له ماض؛ ليس له حاضر.

المصادر والمراجع

التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، محمد منير مرسى، عالم الكتب، القاهرة، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٥م.

أصول التربية الإسلامية في البيت والمدرسة والمجتمع، النحلاوي، دار الفكر، الطبعة: الخامسة والعشرون ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

أصول الدعوة ومناهجها دراسة تأصيلية تحليلية، د/ رمضان مطاريد وآخرون، ٢٠١٩م.

إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ-١٩٩١م.

أنساب الأشراف، البَلَاذُري، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

البحث العلمي.. حقيقته ومصادره ومادته ومناهجه وكتاباته وطباعته ومناقشته، د/ عبد العزيز بن عبد الرحمن الربيعة، مكتبة العبيكان، المملكة العربية السعودية، ط٥، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م.

البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

البلاغة الصافية في المعاني والبيان والبديع، حسن بن إسماعيل بن حسن، المكتبة الأزهرية للتراث القاهرة- مصر، الطبعة: سنة ٢٠٠٦م.

تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الذهبي، المكتبة التوفيقية، بدون: ط، ت.

تاريخ الرسل والملوك، ابن جرير الطبري، دار التراث، بيروت، الطبعة: الثانية:١٣٨٧هـ.

التربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعلمها، عاطف السيد، بدون: ط، ت.

التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالتشريع الوضعي، عودة، دار الكاتب العربي، بيروت.

تفسير الشعراوي، الشعراوي، مطابع أخبار اليوم.

جامع الرسائل، ابن تيمية، تحقيق: د/ محمد رشاد سالم، دار العطاء، الرياض، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها وصور من تطبيقات المسلمين لها ، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة، دار القلم- دمشق، الطبعة: الأولى ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

حياة الصحابة، الطبري، الكاندهلوي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

الخطابة الإسلامية، عبد العاطي محمد شلبي، المكتب الجامعي الحديث، ٢٠٠٦م.

الخطابة وإعداد الخطيب، د/ عبد الجليل عبده شلبي، مطابع وزارة الأوقاف بالقاهرة، ١٩٩٤م.

خلق المسلم، الغزالي، دار الريان للتراث، القاهرة، ط١، سنة ١٤٠٨هـ، ١٩٨٧م.

الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، د أحمد غلوش، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط٢، ١٩٧٨م.

دعوة الرسل إلى الله تعالى، العدوي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، ١٤٥٣هـ، ١٩٣٥م.

الدين الخالص، محمود محمد خطاب السّبكي، تحقيق: أمين محمود خطاب، المكتبة المحمودية السبكية، الطبعة: الرابعة، ١٣٩٧هـ- ١٩٧٧م.

سنن ابن ماجة، تحقيق شعيب الأرنؤوط، دار الرسالة العالمية، ط١، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.

السنن الكبرى، البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

شرح النووي على مسلم، المسمى (المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج)، النووي، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.

شرح صحيح البخاري لابن بطال، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م.
شعب الإيمان، البيهقي، تحقيق د/ عبد العلي عبد الحميد حامد، الناشر مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض، ط١، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م.
صحيح مسلم، "المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ مسلم بن الحجاج، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون ط، ت.
صحيح البخاري "الجامع المسند الصحيح المختصر من أيام رسول الله ﷺ وسننه وأيامه"،
البخاري، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.
عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
فتح الباري، ابن حجر، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ.
فتنة مقتل عثمان بن عفان -رضي الله عنه-،تحقيق: محمد بن عبد الله بن عبد القادر غبان الصبحي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٤هـ.
فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري، سعيد بن علي بن وهب القحطاني، وأصل الكتاب: رسالة دكتوراه، من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ.
الكامل في التاريخ، ابن الأثير، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.
كنز الدرر وجامع الغرر، أبو بكر بن عبد الله بن أيبك الدواداري، دار النشر: عيسى البابي الحلبي.

لسان العرب، ابن منظور، دار صادر– بيروت، الطبعة: الثالثة: ١٤١٤هـ.
المجالسة وجواهر العلم، أحمد بن مروان الدينوري، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن حزم (بيروت– لبنان)، ١٤١٩هـ.
مجموع الفتاوى، ابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية، وما بعدها، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي– بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦هـ– ١٩٩٦م.
مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، شمس الدين أبو المظفر، المعروف بـ «سبط ابن الجوزي»، دار الرسالة العالمية، دمشق – سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م.
المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤١١هـ، ١٩٩٠م.مسند الإمام أحمد
المصباح المنير في غريب شرح الكبير، الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت، بدون: ت.
مصنف عبد الرازق، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي– الهند، المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ.
المعجم الوسيط، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، باب الدال (دلَّ)، ج١، دار الدعوة.
معجم مقاييس اللغة، ابن فارس القزويني، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ.
المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٢هـ.

مناهج البحث العلمي، عبد الرحمن بدوي، ط٣، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٧٧م.

المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد الباجي، مطبعة السعادة، مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٣٢هـ.

منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

هداية المرشدين: الشيخ/ علي محفوظ، ، طبعة المكتبة التوفيقية، بدون ت.

خامساً :
الفقه العام

.

